أ.د. سعاد هادي حسن الطائي

دراسات في تاريخ المدن العراقية

(القرن ٣-٨ هـ / ٩-١٤ م)

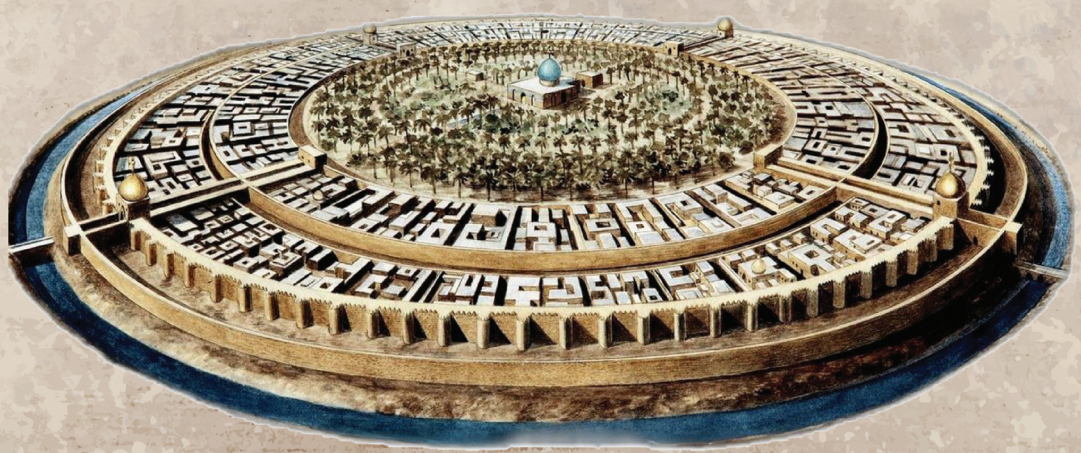

تاريخ

دراسات في تاريخ المدن العراقية

(القرن ٣-٨هـ/ ٩-١٤م)

دراسات في تاريخ المدن العراقية

أ.د.سعاد هادي حسن الطائي

التصنيف: تاريخ

الطبعة: الأولى

التنسيق الداخلي: فلاح العيساوي

تصميم الغلاف: خالد خضير

الخبير اللغوي:د. نسرين ستار جبار

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (5407) لسنة 2025م

ISBN :978-9922-8173-1-6

دار توليب للطباعة والنشر والتوزيع

العراق - بغداد - شارع المتنبي

هاتف: 07718742736

dartulip2025shop@gmail.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

دراسات
في تاريخ المدن العراقية

(القرن ٣-٨هـ/ ٩-١٤م)

أ.د. سعاد هادي حسن الطائي
جامعة بغداد
كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ـ قسم التأريخ

٢٠٢٥

٢٥٦٣ / ٩١٠
ط ٢٩٩ الطائي، سعاد
دراسات في تاريخ المدن العراقية/ سعاد الطائي
ط١: - بغداد: دار توليب، ٢٠٢٥.
١٥٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم.
١- المدن- العراق - تاريخ أ- العنوان.

رقم الإيداع
٥٤٠٧ / ٢٠٢٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (5407) لسنة 2025م

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات – آية ١٣)

الأهداء

* أهدي هذا الجهد المتواضع:

* الى سيد الكائنات، شفيعنا وحبيبنا نبينا الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

* الى من رووا بدمائهم الطاهرة ارض العراق شهدائنا الابرار.

* الى عطر الورد، وعنوان الحياة، امي "رحمها الله".

* الى رمز العطاء..

أ.د. عبد الله سلوم السامرائي و أ.د.حسين علي الداقوقي (رحمهما الله)

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــد لله رب العالمين والصــلاة والسلام على الرسول الكريم محمَّد وعلى آله وصحبه الكرام أجمعين.

تنوَّعـت المكتبـة العربيـة وغيـر العربيـة بعـدَّة دراسـات عـن مـدن العـراق ووصفها وبيان أهمِّيَّة موقعها الجغرافي وتنوُّع ثرواتها ومواردها الاقتصادية، وهذا يشير إلى عراقة العراق ودوره البارز والمهمّ عبر التاريخ.

دراستنا هذه هي إضافة مهمَّة لما دُرس سابقاً ومكمِّل لها، ولا سيَّما أنَّ معظم مصادر دراستنا جغرافيَّة، فضلاً عن التاريخية، فكلاهما مكمِّل للآخر، وكلاهما أشار إلى أهمِّيَّة مدن العراق وغناها بالثروات الطبيعية المتنوِّعة، فضلاً عن أبرز مظاهرها العمرانية.

أشرنا في الفصل الأوَّل المعنون (مدينة بغداد في مؤلَّفات الجغرافيين والرحَّالة (القرن ٣ -٨هـ/ ٩ - ١٤م)) إلى أهمِّ الجغرافيين ممَّن وصفوا مدينة بغداد، وإلى مشاهدات الرحَّالة فيها.

تعدُّ مؤلَّفات الجغرافيين والرحَّالة مهمَّة جداً؛ لما تمتاز به من معلومات قيمة تحاكي الواقع، ولما تحويه من مصداقيَّة وواقعيَّة أكثر من غيرها؛ لأنَّ الرحَّالة هو شاهد عيان على الأحداث والوقائع التاريخية، لذا فرواياته موثَّقة وأكثر صواباً من غيرها.

وذكرنا في هذا الفصل أهمَّ ما ذكره عددٌ من الجغرافيين في مدينة بغداد مثل اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، والمقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)؛ إذ أشاروا إلى أهمِّيَّتها إداريّاً وسياسيّاً، وأهمِّ مظاهرها العمرانية، وما تحويه من خيرات طبيعية.

وعرجنا على ذكر رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، وابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)؛ إذ أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في توثيق عدَّة أحداث عن طريق مشاهداتهم، وتعدُّ رحلتهم إلى بغداد واحدةً من أهمِّ الرحلات الجغرافية؛ إذ زاروا عدَّة مدنٍ ودوَّنوا مشاهداتهم لها.

أشار كلٌّ من ابن جبير وابن بطوطة إلى معلومات مهمَّة عن مدينة بغداد في أثناء زيارتهم لها؛ إذ زوَّدونا بأسماء أهمِّ محلَّاتها ومناطقها ومساجدها وجوامعها وأسواقها وحمَّاماتها ومدارسها، فضلاً عن اختلاطهم بالسكَّان والتعايش معهم لعدَّة أيَّام، ووصفوا لنا سلوكهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم، فضلاً عن ذكر أخبار مهمَّة عن السلطة الحاكمة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي في المدينة.

وصفَ ابنُ جبير وابنُ بطوطة جانبي بغداد الغربي والشرقي، وأبرز محلَّاتها، والجسور التي شُيِّدت فيها، وشوارعها، ودروبها، ومساكنها، وأنهارها، وأهمَّ قصور الخلفاء.

ومن المشاهدات المهمَّة لهما إشارتهما إلى أهمِّ القبور والأضرحة لعددٍ من الأئمَّة - عليهم السلام - والمتصوِّفة والعلماء والخلفاء العبَّاسيين، ممَّا يعكس لنا أنَّهما لم يتركا شاردةً وواردةً إلَّا وصفوها بدقَّةٍ متناهيةٍ وبتفاصيل موسَّعة.

ونقلوا لنا معلومات مهمَّة وقيمة عن الحياة العلمية، وزوَّدونا بمعلوماتٍ دقيقةٍ عن المؤسَّسات العلمية التي كانت قائمةً آنذاك، مثل الربط، والخوانق، والزوايا، والمساجد الجامعة، والمدارس فضلاً عن المجالس العلمية التي حضروها واستمتعوا بفقراتها العلمية وشاركوا في عددٍ منها، مِمَّا يؤكِّد لنا أنَّ معظم مدن العراق شهدت حياةً علميةً زاخرةً آنذاك وفي مختلف المراحل التاريخية، على الرغم مِمَّا شهده العراق من اضطرابٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ في مراحل تاريخية متعاقبة.

وسلَّطنا الضوء في الفصل الثاني المعنون (مدينة الموصل في مؤلَّفات الجغرافيين (القرن ٤-٧هـ/١٠-١٣م) دراسة تاريخيَّة - حضاريَّة) على أهمِّ ما ذكره الجغرافيُّون عن مدينة الموصل، ولا سيَّما مِمَّن عاصروا العصر العبَّاسي وبمراحله المختلفة؛ إذ أشاروا إلى أهمِّ المعالم الحضاريَّة والعمرانيَّة فيها، فضلاً عن تسميتها وموقعها الجغرافي، وأهم ما اتَّصفت به من مميزات مُناخية، فضلًا عن طبيعة سكَّانها وأبنيتهم، وما اشتهرت به من خيراتٍ وواردات طبيعيةٍ جعلتها مكتفيةً ذاتيًا.

احتلَّت مدينة الموصل العراقية أهمِّيَّةً جغرافيَّةً وتاريخيَّةً واضحة العيان لدى عددٍ كبيرٍ من الجغرافيين والمؤرِّخين؛ نظراً لأهمِّيَّتها الجغرافية والتاريخية، ولما شهدته أرضها من أحداث تاريخية مهمَّة غيَّرت الخارطة السياسية لعدَّة دول.

اهتمَّ الجغرافيون بدراسة جغرافية الموصل، ومعظمهم جعلوها ضمن جغرافية الجزيرة الفراتية، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى طبيعة القوى السياسية الحاكمة في ذلك الوقت، وأخصُّ بالذكر في العصور الإسلامية المتعاقبة، فضلاً عن التبعية الإدارية للدول أو الإمارات الإسلامية الحاكمة آنذاك.

ومن أهمِّ الجغرافيِّين الذين وقفنا على كتبهم ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) وكتابه (المسالك والممالك)، ابن الفقيه الهمذاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) وكتابه (مختصر كتاب البلدان)، الاصطخري (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) وكتابه (مسالك الممالك)، ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) وكتابه (صورة الأرض)، المقدسي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) وكتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وكتابه (معجم البلدان)، والقزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) وكتابه (آثار البلاد وأخبار العباد).

ووقفنا في الفصل الثالث المعنون (مدينة الموصل في كتب الرحَّالة (القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)) على أهمِّ الرحلات الجغرافية لعددٍ من الرحَّالة لمدينة الموصل؛ إذ تُعدُّ مشاهداتهم لهذه المدينة واختلاطهم مع السكَّان والسلطة وثيقةً مهمَّةً ودقيقةً لبيان واقعها بمختلف جوانبه السياسية منها والإدارية والاقتصادية والاجتماعية وحضاريًّا وعلميًّا، فمن خلال مشاهداتهم تمكَّنَّا من اكتشاف جوانب مهمَّة عن الحياة اليومية لسكَّان هذه المدينة، ومن أهمِّ هذه الرحلات رحلة ابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) المعنونة (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، ورحلة ابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) المعنونة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

في حين ناقشنا في الفصل الرابع المعنون (مدن العراق في مؤلَّفات الجغرافيين (القرن ٣-٤هـ/٩-١٠م)) أهمَّ ما ذكره عددٌ من الجغرافيين عن جملةٍ من المدن العراقية، مثل البصرة والكوفة، وأهمِّ معالمها العمرانية ومواردها الطبيعية.

وفي الفصل الخامس المعنون (رحلتي ابن جبير وابن بطوطة إلى مدن العراق (القرن ٧ -٨هـ/١٣-١٤م)) بحثنا إشارات الرحَّالة ومشاهداتهم لعددٍ من المدن العراقية المهمَّة، واصفين خيراتها وحياة سكَّانها وأهم مظاهرها العمرانية.

وبيَّنَّا في الفصل السادس المعنون (المدن المقدَّسة في العراق "النجف وكربلاء" في عهد المغول الإيلخانيّين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م) - دراسة في أحوالهما العامَّة -) ما شهده العراق في عهد المغول الإيلخانيين من تطوُّرات متعدِّدة، سواء في المجال الاقتصادي أم الاجتماعي أم الإداري والسياسي، وأثر هذا الأمر بشكلٍ أو آخر على حياة عامَّة الناس، وما أحدثه من تغييراتٍ في منهج حياتهم بمختلف مستوياتهم وطوائفهم.

وعلى الرغم من الدمار الذي لحق عدداً من المدن العراقية بعد احتلال المغول لها وفي مقدِّمتها بغداد، وإنهاء الخلافة العبَّاسية سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م؛ فإنَّ عدداً من المدن شهدت تطوُّراً إداريّاً وعمرانيّاً إبَّان السنوات التي أعقبت احتلالهم لها، وهذا يعود إلى تولّي عدد من الولاة الأكْفَاء لإدارتها، واهتمامهم بتطوير مؤسَّساتها، ومن المؤكَّد أنَّ هؤلاء الولاة كانوا يمثّلون الإيلخانات المغول في بلاد فارس.

شهدت المدن المقدَّسة تطوُّراً ملحوظاً في مختلف نواحي الحياة، وفي مقدِّمتها النجف وكربلاء؛ إذ عُمِّرت الأراضي، وشُقَّت قنوات الري، وزُرعت الأراضي البور، وحُفِرت الأنهار.

إنَّ اهتمام الإيلخانات المغول بهذه المدن اتَّضح أكثر بعد أن أصبح الدين الإسلامي الدينَ الرسميَّ لهم، وانعكس اهتمامهم هذا واتَّضحت ملامحه في اهتمامهم بالعلويين والأضرحة المقدَّسة فيها، وصرف نفقات طائلة لترميمها والاهتمام بالقائمين عليها.

وأشرنا في هذا الفصل إلى التقسيم الإداري للعراق في عهد المغول الإيلخانيين، وأهمِّ الأنظمة الإدارية التي طُبِّقت فيها منذ العصر العبَّاسي المتأخِّر، وأهمِّ الولاة الذين تولوا إدارة العراق وإنجازاتهم الإدارية والعمرانية في مدنه المقدَّسة، وأهمِّ المشاريع الإروائية التي أنجزها عددٌ من الإيلخانات وولاتهم في النجف وكربلاء، مثل حفر الأنهار والقنوات وإعمار الأراضي وزراعتها وغيرها من الإصلاحات، فضلاً عن أهمِّ الكوارث الطبيعية التي تعرَّضت لها مدنُ العراق المقدَّسة، وانعكاساتها على حياة عامَّة الناس.

اعتمدت الدراسة على عددٍ مهمٍّ من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية الأصيلة والحديثة، التي أغنت فصول الكتاب بمعلومات مهمَّة عن أهمِّ المدن العراقية.

نـدعو الله - سـبحانه وتعـالى - أن تغنـي هـذه الدراسـة المكتبـةَ العربيَّـة والإسـلاميَّة بمعلومـات مهمَّـة عـن تـاريخ المـدن العراقيـة، وأهــمِّ معالمهـا الحضارية، وأهمِّيَّتها الجغرافية والإدارية والسياسية والعلمية.

المؤلِّفة

أ.د. سعاد هادي حسن الطائي

١٢ / ٢٠٢٥/١١

الفصل الأوَّل
مدينة بغداد في مؤلَّفات الجغرافيِّين والرحَّالة
(القرن ٣-٨هـ/٩-١٤م)

* أوَّلاً: مدينة بغداد في مؤلَّفات الجغرافيين.

* ثانياً: مدينة بغداد في مؤلَّفات الرحَّالة.

أ- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) إلى مدينة بغداد.

ب-رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م) إلى مدينة بغداد.

الفصل الأوَّل
مدينة بغداد في مؤلَّفات الجغرافيِّين والرحَّالة
(القرن ٣-٨هـ/٩-١٤م)

أوَّلاً: مدينة بغداد في مؤلَّفات الجغرافيين:

احتلَّت مدينة بغداد أهمِّيَّةً كبيرةً في كتب الجغرافيين؛ لما لها من تاريخٍ عريقٍ وموقعٍ مهمٍّ سياسيّاً واقتصاديّاً وحضاريّاً.

١-وصف اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مدينة بغداد:

لمكانة مدينة بغداد المهمَّة؛ أشار إليها عدد من الجغرافيين ووصفوا محاسنها وأهمِّيَّتها التاريخية والجغرافية، قال عنها اليعقوبي: "وإنَّما ابتدأت بالعراق لأنَّها وسط الدنيا، وسرة الأرض، وذكرت بغداد لأنَّها وسط العراق، والمدينة العظمى، التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة، وكبرا، وعمارة وكثرة مياه، وصحة، وهواء. ولأنَّه سكنها من أصناف الناس، وأهل الأمصار، والكُوَر، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل البلد إلَّا ولهم فيها محلَّة، ومتجر، ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا. ثم يجري في حافيتها النهران الأعظمان دجلة والفرات، فتأتيها التجارات والمير برًّا وبحًرا بأيسر السعي حتَّى تكامل بها كلّ متجر يحمل من المشرق والمغرب

من أرض الإسلام وغير أرض الإسلام فإنَّه يحمل إليها من الهند والسند والصين والتبت"[1].

ووصفَ اليعقوبيُّ مُناخها قائلاً: "فيكون الحرُّ بها شديداً في أيَّام القيظ، والبرد شديداً في أيَّام الشتاء، ويعتدل الفصلان الخريف والربيع في أوقاتهما. ويكون دخول الخريف إلى الشتاء غير متباين الهواء، ودخول الربيع إلى الصيف غير متباين الهواء، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء إلى هواء، ومن زمان إلى زمان، فلذلك اعتدل الهواء، طاب الثوى، وعذب الماء، وزكت الأشجار، وطابت الثمار، وأخصبت الزروع، وكثرت الخيرات، وقَرُب مستنبط مَعينها"[2].

وتحدَّث عن أخلاق سكَّانها ونشاطهم الاقتصادي ومهنهم قائلاً: "وباعتدال الهواء، وطيب الثرى، وعذوبة الماء حَسُنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم حتَّى فضُلوا الناس في العلم، والفهم، والأدب، والنظر، والتمييز، والتجارات، والصناعات، والمكاسب، والحذق بكلِّ مناظرة، وإحكام كل مهنة، وإتقان كل صناعة، فليس عالِم أعلَم من عالِمهم، ولا أروى من روايتهم، ولا أجدَل من متكلِّمهم، ولا أعرب من نحويهم، ولا أصح من قارئهم، ولا أمهر من متطبّبهم، ولا أحذق من مغنّيهم، ولا ألطف من صانعهم، ولا أكتب من كاتبهم،..."[3].

٢-وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) مدينة بغداد:

---

(١) أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠٢م، ص١١-١٢.

(٢) البلدان، ص١٤.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٤.

يعدُّ الإصطخري وابن حوقل من أهمِّ الجغرافيين ممَّن كتبوا عن مدينة بغداد ووصفوها بدقَّة، مشيرين إلى المظاهر العمرانية فيها، قائلين: "ومدينة السلام مُحدثة في الإسلام ابتناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه وأتباعه كقطيعة الربيع والحربية وغيرهما، ثم عُمرت وتزايدت، فلمَّا ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسُمِّي عسكر المهدي، وتزايد بالناس والبنيان، وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة إلى الجانب الشرقي، ودارُ من بيده حال من اسم المملكة وعمل إلى أسفل هذا الجانب بالمُخرم، واستحدث الدار التي في أسفلها للسلطان وليس بما وراءها بنيان للعامَّة متصل، وتتَّصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد إلى نهرٍ بين فرسخين على جدارٍ واحدٍ، ثمَّ يتَّصل من نهر بين إلى شط دجلة، ويتَّصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعاً على دجلة إلى الشماسية نحو خمسة أميال وتحاذى من الجانب الغربي الحربية، فيمتد نازلاً على دجلة البنيان إلى آخر الكرخ، ويُسمَّى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق وجانب الرُّصافة، ويُسمَّى عسكر المهدي لأنَّه كان عسكر بحذاءِ مدينة أبي جعفر المنصور"[1].

ومن المعالم العمرانية فيها المسجد الجامع وعلى الرغم من تعرض المكان للخراب بقي الجامع ومقابر قريش والمحلَّة المعروفة بقبر أبي حنيفة، وانتقلت العمارة إلى نهر مُعلى، وبني سور له، بسور حصين منيع فضلاً عن حفر خندق عميق محيط به يتخرقه ماء نهر دجلة، ويُسمَّى الجانب الغربي جانب الكرخ، بني فيه مساجد للجمعة وصلاتها خاصَّة في أربعة مواضع منها، فمنها في الجانب الغربي في مدينة الخليفة المنصور، وفي جانب الرصافة بني جامع آخر لأهل باب الطاق، وفي دار السلطان أيضاً جامع

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧، ص ٨٣ ؛ أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨م، ص٢٤٠ -٢٤١.

يحضره الخاصَّة والعامَّة، ومسجد براثا في الجانب الغربي واستحدثه أمير المؤمنين علي "عليه السلام"، وتتَّصل عمارة الجانب الشرقي في أسفل دار الخلافة في مدينة كلواذى، وهي أيضاً مدينة مهمة فيها مسجد جامع ولو عُدَّ في جملة بغداد لجاز لأنَّ كثيراً من أهلها يصلون فيه، وبين الجانبين يوجد جسر بالقرب من باب الطاق، وكانا اثنين لعبور المجتازين[1]

كما أشارا الى هلاك معظم محالها وذلك أنَّه كان من باب خراسان عمارة إلى أن تبلغ الجسر وتمتدُّ حتى باب الياسرِية من الجانب الغربي وعَرضُها فقد اختلَّ أيضاً من الجانبين جميعاً نحو خمسة أميال، وهلك منه الكثير، غير ان أعمر بقعةٍ بها اليوم الكرخ وجانبه والسبب في ذلك يعود الى أهل الياسِرية ومعظم مساكن التجَّار تقع هناك.[2]

وأشار ابن حوقل إلى أهمِّ الأنهار فيها ومواردها الطبيعية، مِمَّا يؤكِّد لنا غناها قائلاً: "فأمَّا الأشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنَّها من ماء النهروان وتامرا، وليس يُرفع إليها من دجلة إلَّا شيء يقصر عن العمارة، وأمَّا الجانب الغربي فيشق إليه من الفُرات نهر عيسى من قرب الأنبار تحت قنطرة دِمِمَّا وتتحلب من هذا النهر صُبابات تجتمع فتصير نهراً يُسمَّى الصُّرَاة يفضي أيضاً إلى بغداد عند المحلَّة المعروفة بباب البصرة وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتنفجر منه أنهارٌ كثيرةٌ لعمارات الناحية، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نصف المدينة وعليها كثير من مساكنهم وصورهم وبساتينهم، فأمَّا نهر عيسى فإنَّ السفن تجري فيه من الفُرات إلى أن يقع في دجلة والصراة فيها حواجز وموانع من جري السفن بسكور ودوال فيها فتنتهي السفن فيها إلى قنطرتها ثمَّ يحول ما يكون فيها فيجاوز به ذلك الحاجز إلى سفن غيرها، وبين

---

(١) الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨٣ -٨٤؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٤١.

(٢) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٨٤ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٤١-٢٤٢.

بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميّز تخترق إليه أنهارٌ من الفُرات فأوَّلها ممَّا يلي بغداد نهر صَرْصَر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن وعليه جسر من مراكب يُعبر عليه..."[1].

٣- وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) مدينة بغداد:

تحدَّثَ المقدسي عن مدن العراق ووصفها بدقَّة متناهية بكلِّ ما تحويه من مظاهر عمرانية، ومدينة بغداد في مقدِّمتها، فأشار إليها قائلاً: "بغداد في مصر الإسلام، وبها مدينة السلام، ولهم الخصائص والظرافة، والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كلُّ جيِّد بها، وكلُّ حسن فيها، وكلُّ حاذق منها، وكلُّ ظرف لها، وكلُّ قلب اليها، وكلُّ حرب عليها، وكلُّ ذبّ عنها، هي أشهر من أن توصف وأحسن من أن تنعت وأعلى من أن تمدح، أحدثها أبو العبَّاس السفَّاح، ثم بنى المنصور بها مدينة السلام، وزاد فيها الخلفاء من بعده، ولمَّا أراد بناء مدينة السلام سأل عن شتائها وصيفها والأمطار والبق والهواء، وأمر رجالاً حتَّى يناموا فيها فصول السنة حتَّى عرفوا ذلك، ثم استشار أهل الرأي من أهلها فقالوا نرى أن تنزل أربع طساسيج في الجانب الشرقي بوقَ وكَلْوَاذي، وفي الغربي قَطْربُّل وبادوريا، فتكون بين نخل وقرب ماء، فإنْ أجدب طسّوج أو تأخَّرت عمارته كان في الآخر فرج وأنت على الصراة تجيئك الميرة في السفن الفراتية والقوافل من مصر والشام في البادية، وتجيئك آلات من الصين في البحر ومن الروم والموصل في دجلة، فأنت بين أنهار لا يصل إليك العدو إلَّا في سفينة أو على قنطرة على دجلة وفرات، فبناها أربع قطع مدينة السلام وبادوريا والرصافة وموضع دار الخليفة اليوم، وكانت أحسن شيء للمسلمين وأجلّ بلدٍ وفوق ما وصفناه، حتَّى ضعف أمر الخلفاء فاختلَّت وخفَّ أهلها، فأمَّا المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع، ثم يتخلَّلها بعد ذلك الخراب، أعمر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ في الجانب الغربي وفي الشرقي باب الطاق وموضع دار الأمير والعمارات

(١) صورة الأرض، ص٢٤٢-٢٤٣.

والأسواق بالغربي أكثر، والجسر عند باب الطاق إلى جانبه بيمارستان بناء عضد الدولة حصل في كل طسّوج ممَّا ذكرنا جامع..."[1].

أشار المقدسي هنا إلى اهتمام الخليفة باختيار الموقع المناسب لبناء مدينة بغداد مع توافر مُناخٍ مناسبٍ للزراعة والمناسبة للسكن.

وأشار المقدسي إلى بناء مدينة بغداد قائلاً: "... إنَّ المنصور لمَّا أراد بناء مدينة السلام أحضر أكبر مَنْ عرف من أهل الفقه والعدالة والأمانة والمعرفة بالهندسة، وكان فيهم أبو حنيفة النعمان ابن ثابت والحجَّاج بن أَرْطاة، وحشر الصناع والفعلة من الشَّام والموصل والجبل وسائر أعماله وأمر بخطِّها وحفر الأساسات... وجعل عرض السور من أسفل خمسين ذراعاً، وجعلها بثمانية أبواب أربعة داخلة صغار، وأربعة خارجة كبار باب البصرة وباب الشام وباب خراسان وباب الكوفة، وجعل الجامع والقصر وسطها وقبلة جامع الرُّصَافة أصح منه، ووجدتُ في بعض خزائن الخلفاء أنَّ المنصور أنفق على مدينة السلام أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً لأنَّ أجرة الأستاذ كانت قيراطاً والروزكارى حبتين"[2].

نلحظ هنا الإشارة إلى اهتمام الخليفة بطلب العون من الفقهاء وأهل العلم والمهندسين من بلاد متعدِّدة؛ للإفادة منهم في تخطيط المدينة.

٤- وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) مدينة بغداد:

تحدَّثَ ياقوت الحموي عن بناء مدينة بغداد والظروف التي رافقت ذلك موضِّحاً مدى اهتمام الخليفة العبَّاسي في أدقِّ التفاصيل، ولا سيَّما ما يتعلَّق بموقعها الجغرافي.

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن، ودار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٠٦، ص١١٩ - ١٢٠.

(٢) أحسن التقاسيم، ص١٢١.

ومن ضمن ما قاله عنها: "في بدء عمارة بغداد كان أوَّل من مصَّرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطَّها أخوه أبو العبَّاس السَّفَّاح قرب الكوفة، وشرَعَ في عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩، وكان سبب عمارتها أنَّ أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلك من فعلهم، فانتقل عنهم يرتاد موضعاً، وقال ابن عيَّاش: بعث المنصور روَّادا وهو بالهاشمية يرتادون له موضعًا يبني فيه مدينة ويكون الموضع واسطا رافقا بالعامَّة والجند، فنعت له موضع قريب من بارمّا، وذكر له غذاؤه وطيب هوائه، فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه، فرأى موضعا طيبا فقال لجماعة، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب المرزباني وعبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: طيب موافق، فقال: صدقتم ولكن لا مرفق فيه للرعية، وقد مررت في طريقي بموضع تجلب إليه الميرة والأمتعة في البرِّ والبحر وأنا راجع إليه وبائت فيه، فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لي وللناس، قال: فأتى موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام ثمَّ صلَّى العصر، وذلك في صيف وحرٍّ شديد، وكان في ذلك الموضع بيعة فبات أطيب مبيت وأقام يومه فلم ير إلَّا خيراً فقال: هذا موضع صالح للبناء، فإنَّ المادَّة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولا يحمل الجند والرعية إلا مثله، فخطّ البناء وقدّر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله، وذكر سليمان بن مختار أنَّ المنصور استشار دهقان بغداد، وكانت قرية في المربَّعة المعروفة بأبي العبَّاس الفضل بن سليمان الطوسي، وما زالت داره قائمةً على بنائها إلى أن خرب كثير ممَّا يجاورها في البناء، فقال: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد، فإنَّك تصير بين أربعة طساسيج: طسّوجان في الجانب الغربي وطسّوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي قطربل وبادوريا،

واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذى، فإن تأخَّرت عمارة طسّوج منها كان الآخر عامرًا، وأنت يا أمير المؤمنين على الصّراة ودجلة، تجيئك بالميرة من القرب وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان، وتحمل إليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامرّا، وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلَّا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل إليك عدوُّك، وأنت قريب من البرِّ والبحر والجبل، فأعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء، ووجَّه المنصور في حشر الصُّنَّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فأحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فجمعهم وتقدَّم إليهم أن يشرفوا على البناء، وكان ممَّن حضر الحجَّاج بن أرطاة وأبو حنيفة الإمام، وكان أوَّل العمل في سنة ١٤٥، وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا، وأن يجعل في البناء جرز القصب مكان الخشب..."[1].

نستنتج من هذا النص اهتمام الخليفة بأختيار الموقع المناسب والمهم لبناء عاصمته بما يتوافق مع اهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما انه اهتم بالافادة من خبرة عدد من الصناع والمهندسين والمختصين بالبناء والعمران من عدة مدن.

وعن مقدار ما أنفقه في بنائها تحدَّثَ قائلاً: "قالوا: فأنفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار، وقال الخطيب في رواية: إنَّه أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم، وذاك أن الأستاذ من الصُّنَّاع كان يعمل في كلِّ يوم بقيراط إلى خمس حبَّات والروزجاري

(١) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥، ج١، ص١٥٧-١٥٨.

بحبتين إلى ثلاث حبات، وكان الكبش بدرهم والحمل بأربعة دوانيق والتمر ستون رطلا بدرهم، قال الفضل بن دكين: كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعون رطلاً بدرهم، ولحم الغنم ستون رطلاً بدرهم، والعسل عشرة أرطال بدرهم، قال: وكان بين كلِّ باب من أبواب المدينة والباب الآخر ميل، وفي كلِّ ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفري، وعن ابن الشّروي قال: هدمنا من السور الذي يلي باب المحوّل قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوبا عليها بمغرة: وزنها مائة وسبعة عشر رطلا، فوزنَّاها فوجدناها كذلك"[1].

نلحظ اهتمام الخليفة ببناء عاصمته وانفاق الاموال الكثيرة من اجل ان تكون اجمل المدن ومنافسة للمدن الاخرى.

بنى الخليفة المنصور مدينته مدوَّرةً، وجعل داره وجامعها في وسطها، وبنى القبَّة الخضراء فوق إيوان، وكان علوُّها ثمانين ذراعاً، وعلى رأس القبَّة صنم على صورة فارس في يده رمح[2].

ثانياً: مدينة بغداد في مؤلَّفات الرحَّالة:

أ- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) إلى مدينة بغداد:

تُعدُّ رحلة ابن جبير إلى بغداد من الرحلات المهمَّة؛ لأنَّه وثَّق عن طريقها معلومات تاريخية مهمَّة في العصر العبَّاسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)؛ كونَه شاهد عيان لأحداث مهمَّة، فضلًا عن تفصيلاته لمعالمها الحضارية والعمرانية.

أشار ابن جبير إلى مدينة بغداد واصفاً إيَّاها قائلاً: "هذه المدينة العتيقة، وإن لم تزل حضرة الخلافة العبَّاسية ومثابة الدعوة الإمامية القرشية الهاشمية، قد ذهب أكثر رسمها، ولم يبقَ منها إلا شهير اسمها. وهي بالإضافة إلى ما

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٥٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٥٩ – ١٦٠.

كانت عليه قبل إنماء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس، والأثر الطامس، أو تمثال الخيال الشاخص، فلا حسن فيها يستوقف البصر إلا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين، فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلَّع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ، والحسن الحريميّ بين هوائها ومائها ينشأ، هو من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة..."[1].

وأشار إلى علمائها وفقهائها قائلاً: "... فقهاءهم المحدثين، ووعاظهم...، لا جرم أنَّ لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومداومة التنبيه والتبصير والمثابرة على الإنذار المخوف والتحذير، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى... فلا يكاد يخلو يوم من أيَّام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه، فالموقف فيهم لا يزال في مجلس ذكر أيَّامه كلها، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة"[2].

أكَّد ابن جبير ازدهار الحياة العلمية في بغداد في هذه المرحلة التاريخية عن طريق إشارته إلى علمائها وفقهائها ووعَّاظها وعقدهم المجالس العلمية فيها في أيَّام الجمعة من كلِّ أسبوع.

ذكر ابن جبير أنَّ لبغداد جانبين: شرقيّاً وغربيًاً، ودجلة بينهما، فأمَّا الجانب الغربي؛ فقد عمَّه الخراب واستولى عليه، وكان المعمور أوَّلاً، وعمارة الجانب الشرقي محدثة لكنَّه مع ما حلَّ به من خراب فهو يحتوي على سبع عشرة محلَّة، كل واحدة منها مدينة مستقلَّة، وفي كلِّ واحدة منها يوجد فيها عدَّة حمَّامات قد يصل عددها إلى الثمانية، وفيها عدد من الجوامع لصلاة الجمعة[3]. وسردَ ابنُ جبير محلَّات بغداد ووصف كلَّ واحدة منها

---

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م)، اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، قدَّم له ووضع حواشيه وعلَّق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٧٠.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠- ص ١٧١.

(٣) الرحلة، ص ١٧٥.

بأنَّها مدينة مستقلَّة؛ نظراً لسعة مساحتها، وخير دليل على ذلك كثرة عدد حمَّاماتها وجوامعها.

وذكر ابن جبير أنَّ أكبر هذه المحلَّات هي محلَّة القرية، وقد نزل فيها بربض يعرض بالمربعة على شطِّ دجلة بالقرب من الجسر، فحملته دجلة بمدها، ممَّا دفع الناس بالعبور باستخدام الزوارق، وهي متوفرة بأعداد كبيرة، مِمَّا دفع الناس إلى استخدامها للعبور للتنزُّه ليلاً ونهاراً رجالاً ونساءً[1].

تحدَّثَ ابنُ جبير عن أكبر محلَّات بغداد، وهي محلَّة القرية، وذكر طريقة انتقال الناس من جانبٍ إلى آخر عبرَ استخدام الزوارق للتنزُّه.

وذكر أنَّ لها جسرين أحدهما قرب دور الخليفة، والآخر فوقه لكثرة الناس وهم يستخدمون الزوارق للعبور[2].

ومن المحلَّات الأخرى الكبيرة التي أشار إليها ابن جبير محلَّة الكرخ، وهي مدينة مسوَّرة[3]، ومحلَّة باب البصرة، وهي أيضاً مدينة، وفيها جامع المنصور وهو كبير قديم البنيان[4].

ثم محلَّة الشارع وهي أيضاً مدينة[5]، وبين الشارع ومحلَّة باب البصرة سوق المارستان[6]، وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير في بغداد، ويقع على دجلة، وتفقده الأطباء كلَّ يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قوم يقومون بطبخ

---

(١) الرحلة، ص ١٧٥.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥.

(٣) الرحلة، ص ١٧٥.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥.

(٦) المارستان: وأصله بيمارستان بكسر الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء، ومعناه دار المريض، بيمار هو المريض، واستان هو المأوى. ينظر: الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الواسطي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٨، ص٤٧١.

الأغذية وإعداد الأدوية، وهو قصرٌ كبيرٌ فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل إليه من نهر دجلة[١].

من المؤكَّد أنَّ هذا المارستان كان بمنزلة مدرسة طِبِّيَّة تُدرس فيها علوم الطبِّ، ويعقد فيها العلماء حلقاتهم النقاشية فيها.

وهناك محلَّات أخرى مثل الوسيطة تقع بين دجلة ونهر يتفرَّع من نهر الفرات ويصبُّ في دجلة، يصل إليه جميع المرافق الواقعة في الجهات التي يسبقها نهر الفرات، ويشق على باب البصرة نهر آخر منه ويصب أيضًا في نهر دجلة[٢].

فضلاً عن محلَّات أخرى مثل العتابية، وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن ذات ألوان مختلفة، ومحلة الحربية وهي أعلاها وليس وراءها إلَّا القرى الخارجة عن بغداد[٣].

وأشارَ ابنُ جبير إلى أنَّه في إحدى هذه المحلَّات قبر معروف الكرخي، وفي الجانب الغربي قبر الإمام موسى الكاظم - عليه السلام -، فضلاً عن مشاهد أخرى لعددٍ من الأولياء والصالحين[٤].

وفي أعلى الشرقية خارج البلد محلَّة كبيرة بإزاء محلَّة الرصافة، ويقع باب الطاق في الرصافة على الشط، وفي تلك المحلَّة مشهد صغير البنيان له قبَّة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة النعمان، وبه تعرف المحلة، وبالقرب من تلك المحلَّة قبر الإمام أحمد بن حنبل، وقبر أبي بكر الشبلي الحسين بن منصور الحلاج، وغيرها[٥].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥- ص ١٧٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

(٤) الرحلة، ص ١٧٦.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦- ص ١٧٧.

وأشار ابن جبير إلى وجود كثيرٍ من الحدائق والبساتين في غرب بغداد، ومنها تُجلب الفواكه إلى الشرقية[1].

وصف ابن جبير معظم محلَّات بغداد وصفاً دقيقاً بحسب مشاهداته وما تحويه من خدمات عامَّة من أسواق ومارستانات والحدائق والبساتين والدور، فضلاً عن المشاهد المقدَّسة للأئمَّة ومشاهير العلماء، وهذه إشارة واضحة منه تؤكِّد سعة مساحتها في ذلك الوقت والدقَّة المتناهية في تقسيم محلَّاتها وتوفير الخدمات فيها.

وفي حديثه عن الشرقية أشار إلى أنَّها دار الخلافة، ودور الخليفة تقع فيها، وللخليفة جزءٌ كبير؛ إذ اتَّخذ فيها المناظر المشرفة والقصور الرائقة والبساتين الأنيقة[2].

أكَّد ابن جبير قائلاً: "وليس له اليوم وزير إنَّما له خديم يعرف بنائب الوزارة، يحضر الديوان المحتوي على أموال الخلافة وبين يديه الكتب فينفذ الأمور، وله قيمٌ على جميع الديار العبَّاسية، وأمين على سائر الحرم الباقيات من عهد جده وأبيه وعلى جميع من تضمه الحرمة الخلافية، يُعرف بالصاحب مجد الدين أستاذ الدار، هذا لقبه، ويدعي له إثر الدعاء للخليفة، وهو قلَّما يظهر للعامَّة اشتغالاً بما هو بسبيله من أمور تلك الديار وحراستها والتكفُّل بمغالقها وتفقدها ليلًا ونهارًا"[3].

وأشار ابنُ جبير إلى أنَّه أحياناً يظهر الخليفة وهو يركب الزورق، وأحياناً يصيد في البرِّيَّة، مع حبّهِ للظهور للعامَّة[4].

وبهذا الصدد قال ابن جبير: "وظهوره على حالة اختصار تعمية لأمره على العامَّة، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلَّا اشتهاراً، وهو مع ذلك يحبُّ

---

(١) الرحلة، ص ١٧٧.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٨.

(٣) الرحلة، ص ١٧٨.

(٤) الرحلة، ص ١٧٩.

الظهور للعامَّة ويؤثر التحبُّب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استشهدوا بأيَّامه رخاء وعدلًا وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داعٍ له"[1].

وأشار إلى أنَّه رأى الخليفة أبا العبَّاس أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٥م) في الجانب الغربي أمام منظرته به وقد انحدر عنها صاعداً في الزورق إلى قصرِهِ بأعلى الجانب الشرقي على الشط[2].

ووصفَ ابنُ جبير الخليفة بأنه جميل الشكل والمنظر، أشقر اللحية، أبيض اللون، معتدل القامة، رائق الرواء، سنة الخمس وعشرين سنة، يرتدي ثوباً أبيضَ شبه القباء برسوم ذهب فيه، يضع على رأسه قلنسوة مذهَّبة مطوَّقة بوبرٍ أسود من أوبار الغالية القيمة، متعمداً بذلك زي الأتراك، وذلك عشيَّة يوم السبت السادس من شهر صفر سنة ثمانين، كما شاهده أيضاً عشية يوم الأحد متطلعاً من منظرته المذكورة بالشطِّ الغربي[3].

أشار ابنُ جبير إلى أمرٍ مهمٍّ جدّاً؛ إذ تحدَّثَ عن ضعف منصب الوزارة في المرحلة التاريخية التي عاصرها، مشيراً إلى عدم وجود وزير للخليفة، وإنَّما خادم يُعرف بنائب الوزير وله صلاحيَّات محدَّدة، فضلاً عن وجود قيمٍ على الديار العبَّاسية وأمينٍ على الحرم، وهذا يؤكِّد قوَّة الخلافة آنذاك لعدم وجود وزير له. ومن ناحيةٍ أخرى، وصف لنا موكب الخليفة الناصر وأهمَّ مواصفاته حين خرج في رحلةٍ نهريَّةٍ للصيد راكباً زورقه، مِمَّا يؤكِّد اهتمامه في الظهور للناس وتفقُّدهم فضلاً عن اهتمامه بالصيد والتنزُّه.

وتطرَّق ابنُ جبير إلى أسواق الشرقية ووصفها بأنَّها كثيرةٌ عظيمة الترتيب، وهي مزدحمة، وفيها ثلاثة جوامع، منها جامع الخليفة متَّصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، ومرافق للوضوء والظهور. وجامع السلطان، وهو خارج البلد، وتتَّصل به قصور تُنسب إلى

---

(١) الرحلة، ص ١٧٩.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

(٣) الرحلة، ص ١٧٩.

السلطان المعروف شاه شاه، ويسكن هناك، فبنى الجامع أمام مسكنه. وجامع الرصافة ويقع على الجانب الشرقي، بينه وبين جامع هذا السلطان مسافة ميل، وبذلك يبلغ عدد جوامع بغداد أحد عشر جامعاً[1].

وصف ابنُ جبير أسواق المدينة وجوامعها، مِمَّا يعكس مدى اهتمام الخلافة باقتصاد الدولة عن طريق العناية بالأسواق والتجارة وتبادل البضائع، فضلاً عن بناء الجوامع والمساجد الضخمة لإقامة صلاة الجمعة وعقد المجالس العلميَّة.

وفي حديثه عن حمَّامات بغداد، أشار إلى أنَّها كثيرةٌ لا تُحصى بلغت نحو ألفي حمَّام بين الشرقية والغربية، وأكثرها مطليَّة بالقار مسطَّحة به، فيُخيَّل للناظر أنَّه رخام أسود صقيل، وحمَّامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة لكثرة الغار عندهم، يجلب من عين بين البصرة والكوفة[2]. إنَّ إشارة ابن جبير إلى وجود هذا العدد الكبير من الحمَّامات يعكس اهتمام الخلافة والعامَّة بالنظافة.

قال ابن جبير: "وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولَّد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف ويجلب وقد انعقد"[3].

أمَّا المدارس؛ فيبلغ عددها ثلاثين ومعظمها تقع في الشرقية، وأهمُّها النظامية[4] التي بناها نظام الملك وجُدِّدت سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م. ولهذه

---

(١) الرحلة، ص ١٧٩.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) الرحلة، ص ١٨٠.

(٤) النظامية: نسبة إلى نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) وزير السلطان السلجوقي الب أرسلان، الذي أسَّس كثيرًا من هذه المدارس التي سُمِّيت بالنظاميَّات؛ إذ أنشأ نظاميَّة بغداد، ونظاميَّة نيسابور، ونظاميَّة هراة، ونظاميَّة مرو، ونظاميَّة أصفهان، ونظاميَّة بلخ، ونظاميَّة آمل طبرستان. ووُفِّرت جميع مستلزمات السكن فيها من غُرف للأساتذة والطلَّاب، وتوفير العيش الكريم لهم من جهة أخرى، وتخصيص مرتَّبات شهرية وأوقاف تُصرف لها لتدخل حركة التعليم بذلك مرحلة الاكتمال بنشوء مثل هذه

المدارس أوقاف عظيمة وعقـــــــارات محبسة تُعطى للفقهاء المدرِّسين فيها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم[1].

إنَّ الاهتمام ببناء المدارس وتخصيص الأوقاف لها دليلٌ على الاهتمام بالعلم وتعليمه واهتمام العلماء بعقد حلقاتهم العلمية فيها، فضلاً عن استقدام العلماء من جميع أنحاء العالم.

أمَّا أبواب الشرقية؛ فهي أربعة: الأولى وهي أعلى الشط، باب السلطان، باب الظفرية، باب الحلبة، باب البصلية. هذه الأبواب في السور المحيط بها من أعلى الشطِّ إلى أسفله، فيعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة، وداخلها في الأسواق أبواب كثيرة[2].

المدارس النظامية التي يمكن عدُّها أوَّل جامعة إسلامية، وعُيِّن عددٌ من المدرِّسين الأَكْفَاء للتدريس في هذه المدارس، وحُدِّد لكلِّ مدرِّس المادَّة العلمية التي يدرسها، وقُدِّر له راتبه الشهري، وأُجريت الأرزاق على تلاميذها، وفي كثيرٍ من الأحيان كان يكفل لهم معاشهم من طعام وكسوة، أي إنَّ هذه المدرسة اقتصرت على تدريس المذهب الشافعي، وشرط نظام الملك في الأملاك الموقوفة عليها أنْ تكون على أصحاب الشافعي أصلًا وفرعاً، وشرط ذلك في المدرسين والوعَّاظ، ومتولّي الكتب، وأن يكون بها مقرئ يقرأ القرآن الكريم ونحوي يُدرِّس اللغة العربية. السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهَّاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٤، ص٣١٣ وص٣١٤؛ أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، دار الشؤون الثقافية العامَّة، بغداد، ط٢، ٢٠٠٦، ق٢، ص٥٦؛ حلمي، أحمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٣٧٣؛ طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٧، ص١٢٦.

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

ذكرَ ابنُ جبير معلومات مهمَّة عن ازدهار الحياة العلميَّة في بغداد عن طريق عقد المجالس العلمية فيها واهتمام العلماء بنشر علومهم بين أكبر عددٍ ممكنٍ من طلَّاب العلم.

أشار ابنُ جبير – في أثناء رحلته إلى بغداد - إلى مجالس العلم والوعظ التي عقدت فيها وحضر عددًا منها قائلاً: "فأوَّل من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر... فصعد المنبر، وأخذ القرَّاء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوَّقوا وشوَّقوا، وأتو بتلاحين منعجبة، ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام... فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله تعالى، وإيراد حديث رسوله "صلَّى الله عليه وآله وسلم" والتكلُّم على معانيه، ثمَّ رشقته شآبيب المسائل من كلِّ جانب، فأجاب وما قصر، وتقدَّم وما تأخَّر، ودفعت إليه عدَّة رقاع منها، مجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كلِّ واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها"[1].

ووصف مجلسه: "فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وقوراً هيِّناً ليِّناً، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولم تقصر عن إرسال عبرتها فيه النفس المستكينة، ولا سيَّما آخر مجلسه، فإنَّه سرت حميًا وعظة إلى النفوس حتَّى أطارتها خشوعاً، وفجَّرتها دموعاً، وبادر التائبون إليه سقوطًا على يده ووقوعًا، فكم ناصية جزّ، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحزّ. فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة..."[2].

---

(١) الرحلة، ص ١٧١.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١.

وهذه إشارة منه إلى مدى تأثُّره بمجلس هذا الشيخ وإفادته من عبرته ووعظه وعلمه، وأكَّد طريقته في الوعظ والشرح كانت سهلةً وغنيَّةً ومفيدةً في الوقت نفسه.

ونلحظ هنا إشارة ابن جبير إلى وجود المدرسة النظامية، وهذا يؤكِّد استمرارها في دورها العلمي والتعليمي منذ القرن ٥هـ/١١م.

ولهذا اهتمَّ ابن جبير بحضور مجلس آخر له إثر صلاة العصر من يوم الجمعة، وحضر مجلسه أعيان البلاد ووجهاؤُها قائلاً: "وحضر ذلك اليوم مجلسه سيِّد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمَّة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية... تشوَّقت له النفوس، فأخذ الإمام... في وعظه مسرورًا بحضوره، ومتجمِّلًا به، فأتى بأفانين من العلوم، على حسب مجلسه..."[١]. وأكَّد ابن جبير أنَّ رئيس الأئمَّة الشافعية المذكور في أعلاه هو صدر الدين الخجندي[٢].

وأشار ابن جبير إلى حضوره مجالس علمية أخرى منها مجلس الشيخ الفقيه جمال الدين أبي الفضل بن علي الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) قرب دارِهِ على الشطِّ بالجانب الشرقي، وفي آخره على اتِّصالٍ من قصور الخليفة وبمقربةٍ من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كلّ يوم سبت[٣].

وأهمُّ ما ذكره عن مجلسه قائلاً: "فشاهدنا مجلس رجلٍ ليس من عمرو ولا زيد... آية الزمان، وقرَّة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، ومالك أزمة الكلام في النظم والنثر،

---

(١) الرحلة، ص ١٧١.

(٢) الرحلة، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) الرحلة، ص ١٧٢.

والغائص في بحر فكره على نفائس الدر، فأمَّا نظمه فرضيُّ الطباع، مهياريُّ الانطباع، وأمَّا نثره فيصدع بسحر البيان"[1].

ووصف ابن جبير مجلسه وصعوده المنبر ومطالبته القرَّاء قراءة القرآن الكريم، وبلغ عددهم أكثر من عشرين قارئاً؛ إذ يقرأ اثنان أو ثلاثة منهم آيةً من آيات القرآن يتلونها على نسقٍ واحدٍ بتطريب وتشويق، ثمَّ يتلو عددٌ آخر منهم آيةً ثانيةً، وهكذا بالنسبة إلى غيرهم؛ إذ يختار من آيات مختلفات حتى ينتهون من القراءة[2]، وقال عنهم: "وقد أتوا بآيات مشتبهاته، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسمِّيها نسقاً..."[3].

وبعد الانتهاء من ذلك خطب الإمام فيهم "عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دررًا، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرأ وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدِّماً ولا مؤخِّراً، ثمَّ أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القرَّاء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً..."[4].

وصف ابنُ جبير براعة ابن الجوزي هنا في قراءته للقرآن بشكل جزل وعذب عند قراءته للخطبة؛ إذ كان يورد آيةً من آيات القرآن الكريم بعد كلِّ عبارةٍ يذكرها في خطبته مناسباً مع قافية آخر آية منها.

وبعد أن انتهى ابن الجوزي من خطبته بدأ بالوعظ وذكر آيات بيِّنات من القرآن الكريم، اشتاقت إليها النفس، وذابت بها الأنفس حتى ترتفع الأصوات

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٢.

(٢) الرحلة، ص ١٧٢.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٢.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٢- ١٧٣.

داعيةً الله – تعالى - بالمغفرة، ثم ترد إليه الأسئلة من الحضور والرقاع فيجيب عنها بسرعة، وربَّما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل[1].

ولم يتوقَّف ابن جبير عن حضور مجالسه، بل حضر مجلساً آخر له يوم الخميس في باب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه، وهو من حرم الخليفة، وخصَّ بالوصول إليه والتكلُّم معه ليسمعه من تلك المناظر ووالدته ومن حضر من الحرم، وحضر عامَّة من الناس أيضاً لمشاهدة هذا المجلس، وقد بسط الموضوع بالحصر[2].

وعن ذلك قال ابن جبير: "فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، وصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسمر القرَّاء أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ما شاؤوا، وأطربوا ما أرادوا... فلما فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته... وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها... فكان يومه في ذلك أعجب من أمه، ثمَّ أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنَّى عنها بالستر الأشرف..."[3].

وبعد أن انتهى من خطبته بدأ بالوعظ، كل ذلك بديهة لا روية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات القرآنية على نسق مرَّة أخرى، ممَّا أثَّرَ في نفوس العامَّة والحاضرين وارتفعت أصواتهم معلنين توبتهم[4].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

(٢) الرحلة، ص ١٧٣.

(٣) الرحلة، ص ١٧٣-١٧٤.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٤.

وفي أثناء المجلس أنشد عدداً من الأبيات الشعرية لزيادة التشويق، ولكي يلهب قلوب الحاضرين[1]:

أيـــن فـــؤادي أذابـــه الوجـــد وأيـــن قلبـــي فمـــا صـــاحا بعـــد
يـــا ســـعد زدنـــي جـــوى بـــذكرهم بـــالله قـــل لـــي فـــديت يـــا ســـعد

وذكر ابن جبير قائلاً: "ولم يزل يردِّدها والانفعال قد أثَّر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً، وقد أطار القلوب وجلاً..."[2].

إنَّ من شدَّة تأثُّر ابن جبير فيه جعله يحضر مجلساً ثالثاً له في الموضع السابق نفسه "فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجباً، صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سحباً، وأسال من أدمعهم وابلاً سكباً، ثمَّ جعل يردِّد في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهديّاً وطرباً، إلى أن غلبته الرقَّة فوثب من أعلى ميزة وإليها مكتئباً..."[3].

ومن المؤسَّسات العلمية والتعليمية الأخرى التي شاهدها ابن جبير في بغداد جامع المنصور، وهو كبير وقديم[4].

من المؤكَّد أنَّ هذا المارستان كان بمنزلةِ مدرسةٍ طبِّيَّة تدرس فيها علوم الطبّ، ويعقد فيها العلماء حلقاتهم النقاشية فيها.

ذكر ابن جبير انه بقي في بغداد (١٣) يوماً، ورحل عنها إثر صلاة العصر من يوم الاثنين الخامس عشر لصفر متوجِّهاً إلى الموصل[5].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٤.
(٢) الرحلة، ص ١٧٤.
(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥.
(٤) الرحلة، ص ١٧٥.
(٥) الرحلة، ص ١٨٠.

ب- رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م) إلى مدينة بغداد:

وصف ابن بطوطة مدينة بغداد اثناء رحلته إليها بدقَّة متناهية، وهي لا تقلُّ أهمِّيَّةً عن رحلة ابن جبير؛ إذ أورد معلومات موثَّقة عنها، ولا سيَّما ما يخصُّ الجانب العمراني والحضاري والعلمي.

وصفَ ابنُ بطوطة مدينة بغداد اثناء رحلته إليها قائلاً: "مدينة دار السلام وحضرة الإسلام، ذات القدر الشريف والفضل المنيف، مئوي الخلفاء ومقر العلماء"[١].

لبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الضفة في جسر مدينة الحلة، والناس تعبرهما في الليل والنهار على حدٍّ سواء[٢]، وفيها عددٌ من المساجد يخطب فيها وتقام فيها الجمعة، بلغ عددها أحد عشر مسجداً، منها بالجانب الغربي ثمانية، وبالجانب الشرقي ثلاثة، وغيرها من المساجد، فضلاً عن عددٍ من المدارس، غير أنَّها خربت[٣].

غير أنَّه لم يذكر لماذا خُربت ومن قام بذلك، ولعلَّه قصد عن ذلك كونها مدارس قديمة لحق بها الدمار عبر الزمن.

وأشار ابنُ بطوطة إلى وجود حمَّاماتٍ كثيرةٍ في مدينة بغداد، وهي بديعةٌ، مطليَّةٌ بالقار ومسطَّحة به كأنَّه رخام أسود، ويُجلب هذا القار من عينٍ بين الكوفة والبصرة تنبع به، ويصير في جوانبها مثل الصلصال فيجرف منها ويجلب إلى بغداد. وفي كلِّ حمَّام منها عدَّة خلوات، كلُّ واحدة منها مفروشة بالقار، ونصف حائط مطلس ممَّا يلي الأرض به، والنصف الأعلى مطليٌّ بالجصِّ الأبيض الناصع، فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما، وفي داخل

---

(١) عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٦٩ م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ٢٠١١، ص ٢٣٥.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٦.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٦.

كلِّ خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان: أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد، وباستطاعة أيِّ شخص الدخول والخلوة فيها منفردًا دون أن يشاركه أحد إلَّا إن أراد ذلك. ويوجد في زاوية كلِّ خلوة أيضاً حوض آخر للاغتسال، فيه أنبوبان يجريان بالماء الحارِّ والبارد، فضلاً عن أيِّ شخص يدخل الحمام يُعطى له ثلاثة فوط: أحدها ينزل بها عند دخوله، والأخرى يتّزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده[1]. وذكر ابن بطوطة قائلاً: "ولم أرَ هذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك"[2].

اتَّفق ابنُ بطوطة مع ابنِ جبير في إشارته إلى وجود عدَّة حمَّامات في بغداد، والدقَّة المتناهية في توفير المياه الحارَّة والباردة فيها.

أشار ابنُ بطوطة إلى أنَّ الجانب الغربي من مدينة بغداد عُمِّرَ أوَّلاً، وتعرَّضَ معظمه للخراب، وبقيت منه ثلاث عشرة محلَّة، كلُّ محلَّة كأنَّها مدينة، وفيها عددٌ من الحمَّامات وثمانية مساجد جامعة[3].

إنَّ كثرة عدد الحمَّامات فيها يشير إلى اهتمام سكَّانها بالنظافة، فضلاً عن كثرة المساجد الجامعة التي تستوعب عدداً كبيراً من المصلِّين فيها، مِمَّا يؤكِّد مواظبتهم على الصلاة، فضلاً عن عقد الحلقات والمجالس العلميَّة فيها.

وذكر ابن بطوطة أهمَّ هذه المحلَّات، مثل محلَّة باب البصرة، وفيها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور. أمَّا المارستان؛ فيقع بين محلَّة البصرة ومحلَّة الشارع على نهر دجلة، وهو قصرٌ كبيرٌ أصابه الخراب وبقيت فقط آثاره[4].

---

(١) الرحلة، ص ٢٣٦.

(٢) الرحلة، ص ٢٣٦.

(٣) الرحلة، ص ٢٣٧.

(٤) الرحلة، ص ٢٣٧.

أشارَ ابنُ بطوطة إلى أهمِّ محلَّات بغداد متفقاً في ذلك مع ابن جبير، مِمَّا يعكس اهتمام السلطة آنذاك بالبناء والعمران، مع ذكره أهمَّ الخدمات العامَّة، مثل الحمَّامات والمارستانات والجوامع.

ولم يغفل ابن بطوطة عن ذكر المشاهد والقبور، مثل قبر معروف الكرخي الواقع في محلَّة باب البصرة، وفي هذا الجانب قبر الإمام موسى الكاظم - عليه السلام -، وإلى جانبه قبر الجواد - عليه السلام -، ويقع القبران داخل الروضة، عليهما دكانة ملبَّسة بالخشب وعليه ألواح من الفضَّة[1].

وفي الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب، وأعظم أسواقها سوق يُعرف بسوق الثلاثاء، وفي كلِّ صناعة على حدة، ويوجد في وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة ضُربت الأمثال بحسنها[2]، وتقع في آخره المدرسة المستنصرية، ونسبتها إلى الخليفة المستنصر بالله (٦٢٤-٦٤٠هـ/١٢٢٦- ١٢٤٢م)[3].

لكلِّ مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس، وجلوس المدرس في قبَّة من خشب صغيرة على كرسي عليه البسط، ويجلس المدرس وعليه السكينة والوقار، مرتدياً السواد معتماً، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كلَّ ما يقوله، وهكذا ترتيب كلِّ مجلسٍ من هذه المجالس الأربعة[4].

أكَّد ابن بطوطة اهتمام السلطة آنذاك بتوفير المساجد لكلِّ المذاهب؛ حيث عقدت فيها الحلقات العلميَّة للتدريس، واصفاً طريقة جلوس المدرِّس وملابسه ومجلسه.

وفي داخل المدرسة حمَّام للطلبة ودار الوضوء، وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة: أحدها جامع الخليفة، وهو المتَّصل

---

(١) الرحلة، ص ٢٣٧.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٧.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٨.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

بقصور الخلفاء ودورهم، وهو جامع كبير فيه سقايات كثيرة للوضوء وللغسل[1].

أشار ابن بطوطة إلى وجود الحمَّام ودار الوضوء في كلِّ مدرسة، مِمَّا يعكس اهتمام السلطة بتوفير جميع المستلزمات والخدمات العامَّة للطلَّاب.

قال ابنُ بطوطة: "لقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني، وسمعت عليه فيه جميع مسند أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدرامي، وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة، قال: أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن لعليٍّ بن عليٍّ بن أبي البدر، قالت: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمَّد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستاني، قال: أخبرنا أبو الوقت عبد الأوَّل بن شعيب الشنجري الصوفي، قال: أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي، قال: أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العبَّاس السمرقندي، عن أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي"[2].

ومن الجوامع المهمَّة جامع السلطان، وهو خارج البلد، وتتَّصل به قصورٌ تُنسب إلى السطان. والجامع الثالث جامع الرصافة، وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل[3].

ومن أهمِّ قبور الخلفاء العبَّاسيين في الرصافة وعلى كلِّ قبرٍ منها اسم صاحبه، قبر المهدي (١٥٩-١٧٠هـ/٧٧٥-٧٨٦م)، الهادي (١٧٠-١٧١هـ/٧٨٦-٧٨٧م)، الأمين (١٩٤-١٩٩هـ/٨٠٩-٨١٤م)، المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٨هـ/٨٣٣-٨٤٢م)، الواثق بالله (٢٢٨-٢٣٣هـ/٨٤٢-٨٤٧م)،

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٨.

(٢) الرحلة، ص ٢٣٨.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٨.

المتوكِّل على الله (٢٣٣-٢٤٨هـ/٨٤٧-٨٦٢م)، المنتصر بالله (٢٤٨هـ/٨٦٢م)، المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م)، المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٦هـ/٨٦٦-٨٦٩م)، المهتدي بالله (٢٥٦-٢٥٧هـ/٨٦٩-٨٧٠م)، المعتمد على الله (٢٥٧-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)، المعتضد بالله (٢٧٩-٢٩٠هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، المكتفي بالله (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م)، المقتدر بالله (٢٩٦-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٣هـ/٩٣٢-٩٣٤م)، الراضي بالله (٣٢٣-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م)، المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٥هـ/٩٤٤-٩٤٦م)، المطيع لله (٣٣٥-٣٦٤هـ/٩٤٦-٩٧٤م)، الطائع بالله (٣٦٤-٣٨١هـ/٩٧٤ -٩٩١م)، القادر بالله (٣٨١-٤٢٣هـ/ ٩٩١-١٠٣١م)، القائم بأمر الله (٤٢٣-٤٦٨هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م)، المسترشد بالله (٥١٢-٥٣٠هـ/١١١٨-١١٣٥م)، المقتفي لأمر الله (٥٣٣-٥٥٥هـ/١١٣٨-١١٦٠م)، المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)، المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)، الناصر لدين الله (٥٧٦-٦٣٣هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)، الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٤٠هـ/١٢٢٥-١٢٤٢م)، المستنصر بالله (٦٢٤-٦٤٠هـ/١٢٢٦- ١٢٤٢م)، المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)[١].

وتحدَّثَ ابن بطوطة عن قبر الإمام أبي حنيفة النعمان الذي يقع قرب الرصافة، وعليه قبّة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس في مدينة بغداد زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية، ويقع بالقرب منها قبر أبي عبد الله أحمد بن حنبل ولا قبّةَ عليه، ويذكر أنَّها بُنيت على قبره مراراً، غير أنَّها تهدَّمت[٢].

وأشار إلى قبر المتصوفة أبي بكر الشبل الواقع بالقرب من قبر ابن حنبل، فضلاً عن قبر سري السقطي، وبشر الحافي، وداود الطائي أبي القاسم الجنيد،

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٣٨-٢٤٠.

(٢) الرحلة، ص ٢٤٠.

وخصَّصَ أهلُ بغداد زيارة هؤلاء المتصوفة في كلِّ أسبوع[1]. وذكر ابن بطوطة أنَّ هناك عددًا كبيراً من قبور الصالحين والعلماء في بغداد[2].

اتفق ابن بطوطة مع ابن جبير في ذكر عددٍ من قبور الأولياء والصالحين والعلماء والخلفاء العبَّاسيين في بغداد، مِمَّا يعكس اهتمام السلطة بالحفاظ على الآثار وترميمها.

وأشار ابن بطوطة إلى أنَّه لا توجد فواكه في الجهة الشرقية من بغداد، وإنَّما تجلب إليها من الجهة الغربية؛ لكثرة البساتين والحدائق فيها[3].

وفي حديثه عن خروجه من بغداد ذكر: "ثمَّ خرجت من بغداد في محلَّة السلطان أبي سعيد، وغرضي أن أشاهدَ ترتيب ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفيَّة تنقُّله وسفره، وعادتهم أنَّهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى"[4].

وتحدَّث عن ترتيبهم، بحيث يأتي كلُّ أمير من الأمراء مع عسكره وطبوله وأعلامه، فيقف على موضعٍ لا يتعدَّاه قد عُيِّنَ له، إمَّا في الميمنة أو الميسرة، فإنْ توافوا جميعاً وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضُربت الطبول للرحيل، ويأتي كلُّ أمير منهم فسلَّم على الملك وعاد إلى موقفه، ثمَّ يتقدَّم أمام الملك المحجاب والنقباء، ثمَّ يليهم أهل الطرب وهم نحو المائة رجل عليه الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان، وأمام أهل الطرب عشرة من الفرسان تقلَّدوا عشرة من الطبول، وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات، أي ناي أو ما تُسمَّى الغيطات، فيضربون تلك الأطبال والصرنايات ثمَّ يتوقَّفون

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٠.

(٢) الرحلة، ص ٢٤٠.

(٣) الرحلة، ص ٢٤٠.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٦.

فيغنّي عشرة آخرون نوبتهم، حتَّى تتم عشر نوبات، فعند ذلك يكون النزول[1].

ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الأمراء، وهم نحو خمسين، ومن ورائه أصحاب الأعلام والأطبال والأنفار والبوقات، ثمَّ مماليك السلطان، ثمَّ الأمراء على مراتبهم، وكلُّ أميرٍ له أعلام وطبول وبوقات، ويتولَّى ترتيب ذلك كله أمير جند، وله عددٌ كبيرٌ منهم، وتكون عقوبة من تخلَّف عن التوجُّه مع جماعته أن يؤخذ تماقه فيملأ رملًا ويعلق على عنقه، ويمشي على قدميه حتى يبلغ المنزل، فيُؤتى به إلى الأمير، فيبطح على الأرض ويضرب خمساً وعشرين مقرعة على ظهره، سواء كان رفيعاً أم وضيعاً لا يحاشون من ذلك أي أحد[2].

وإذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه في محلَّة على حدة، وتنزل كلُّ خاتون من خواتينه في محلَّة على حدة، ولكلِّ واحدة منهنَّ الإمام والمؤذِّن والقرَّاء والسوق، وينزل الوزراء والكتَّاب وأهل الأشغال على حدة، وينزل كلُّ أمير على حدة، ويأتون جميعًا إلى الخدمة بعد العصر، ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخير والمشاعل بين أيديهم، فإذا حان وقت الرحيل ضرب الطبل الكبير، ثمَّ يضرب طبل الخاتون الكبرى الملكة، ثمَّ أطبال سائر الخواتين، ثمَّ طبل الوزير، ثمَّ أطبال الوزراء دفعةً واحدةً، ويركب بعد ذلك أمير المقدِّمة في عسكره، وتتبعه الخواتين، ثمَّ أثقال السلطان والخواتين، ثمَّ أمير ثانٍ في عسكر له؛ ليمنع الناس من الدخول فيما بين الأثقال والخواتين، ثمَّ سائر الناس[3].

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٦.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٦.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٤٦- ٢٤٧.

الفصل الثاني
مدينة الموصل في مؤلّفات الجغرافيين (القرن ٤-٧هـ/١٠-١٣م)
(دراسة تاريخية – حضارية)

* أوَّلاً: الأصول التاريخية لاسم مدينة الموصل وموقعها الجغرافي.

* ثانياً: وصف مدينة الموصل في كتب الجغرافيين.

* أ: وصف ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) مدينة الموصل.

* ب: وصف ابن الفقيه الهمذاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل.

* ت: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل.

* ث: وصف ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) مدينة الموصل.

* ج: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) مدينة الموصل.

* ح: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) مدينة الموصل.

* خ: وصف الإدريسي (ت٦٥٠هـ/١١٦٤م) مدينة الموصل.

* د: وصف القزويني (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) مدينة الموصل.

الفصل الثاني
مدينة الموصل في مؤلّفات الجغرافيين
(القرن ٤-٧هـ/١٠-١٣م)
(دراسة تاريخية – حضارية)

أوّلاً: الأصول التاريخية لاسم مدينة الموصل وموقعها الجغرافي:

اختلفت آراء الجغرافيّين حول الأصول التاريخية لاسم مدينة الموصل وأوَّل من بناها، وسوف نستعرض هنا أهمَّ ما ورد بهذا الخصوص.

أشار ابن الفقيه الهمذاني إلى أصل تسمية الموصل، وأنَّها سُمِّيت الموصل؛ لأنَّها وصلت بين الجزيرة والشام[١]، وذُكر لأنَّها وصلت بين الفرات ودجلة[٢]. وهناك من أشار إلى أنَّ اسم الموصل خولان فلمَّا وصل العرب بها عمروها ومصروها وسُمِّيت الموصل[٣]، ولا نعلم سبب تسميتها بذلك، وربَّما لأنَّ قبيلة خولان كانت تقطنها، وربَّما نسبةً إلى اسم شخص بناها وسكن فيها.

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)، مختصر كتاب البلدان، بريل، ليدن، ١٣٠٢م، ص١٢٨.

(٢) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٢٨؛ البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه: د. جمال طلبه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، م٤، ص ١٢٩.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٣٩.

أمَّا ياقوت الحموي؛ فقال: "سُمِّيت بالموصل لأنَّها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنَّها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يُسمَّى الموصل"[١].

وذُكر أنَّ اسمها في عهد الفرس (نور أردشير) بالنون أو الباء، وأوَّل من استحدثها راوند بن بيوراسف الازدهاق[٢]. أمَّا أوَّل من ألحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً وبنى لها جسراً وخطَّ طرقاتها وبنى سورها الخليفة مروان بن محمَّد بن مروان بن الحكم (١٢٧ - ١٣٢هـ/ ٧٤٤ - ٧٤٩م)[٣].

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تولَّى عتبة بن فرقد السُّلمي الموصل سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، فقاتله أهل الحصن فأخذ حصنها الشرقي عنوةً وعبر دجلة، فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء[٤].

وأوَّل من اختطَّ الموصل وأسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي؛ إذ عزل الخليفة عمر - رضي الله عنه - عتبة عن الموصل وولَّاها لهرثمة، وبنى فيها المسجد الجامع[٥].وهي مدينةٌ قديمةٌ تقع على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى[٦]، وأشار عددٌ من الجغرافيين إلى أنَّها تقع غربي نهر دجلة[٧].

---

(١) معجم البلدان، ج ٥،ص٢٢٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص٢٢٣؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٤٦١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣.

(٤) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٢٨.

(٥) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٢٨-ص١٢٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص٢٢٣.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢١٤؛ الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م،

ثانياً: وصف مدينة الموصل في كتب الجغرافيين:

حظيت مدينة الموصل باهتمام معظم الجغرافيين من العرب وغيرهم، واتَّضح هذا الأمر عن طريق مصنَّفاتهم؛ حيث توسَّعوا بوصفها بشكل دقيق، وذكروا أبرز كورها[1] ورساتيقها[2]، فضلاً عن ذكر خيراتها الطبيعية ومظاهرها العمرانية.

أ: وصف ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) مدينة الموصل:

تحدَّث ابن خرداذبة عن الموصل بشكل مختصر، مشيراً إلى أهمِّ كورها، وفي مقدِّمتها نينوى مدينة النبي يونس - عليه السلام -، والحديثة، ومرج جهينة، وباجلى، وباهدرى، وباغدرى، وحبتون، وبانقلى، وحزة، وبابغاش، والمغلة، ورامين، والحناية، وباجرمى، وبها خُنياسابور، ودقوقا، وخانيجار[3]. ولهذا فإنَّ خراجها عالٍ قُدِّرَ بأربعة آلاف ألف درهم[4].

ص٧٣؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٢، ص ٦٥٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٦١.

(١) كور: كلُّ صقع يشتمل على عدَّة قرى، ولا بدَّ لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩.

(٢) رساتيق: جمع رستاق، وهو كلُّ موضع فيه مزارع وقرى، فهو عند الفرس بمنزلة السواد، وعند أهل بغداد، وهو أخصُّ من الكورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٠.

(٣) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٩٤.

(٤) المسالك والممالك، ص ٩٤.

وأشار ابن خرداذبة إلى أنَّ المسافة بين الموصل وبلد سبعة فراسخ[1].[2]، وتحدَّثَ عن عجائب طبائع البلدان فقال عن الموصل: "ومن أقام بالموصل حملاً وجد في قوَّته فضلاً بيناً"[3]. وهذا يدلُّ على أنَّ مُناخ الموصل صحيٌّ ونقيٌّ ومناسبٌ للجميع ويعود عليهم بالخير والدعة.

ب: وصف ابن الفقيه الهمذاني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل:

تحدَّثَ ابنُ الفقيه الهمذاني عن أهمِّ كور الموصل؛ حيث اتفق مع عددٍ من الجغرافيين في بعضها، واختلف معهم في بعض آخر، ومنها: الطيرهان، السّنُّ، الحديثة، مرح جهينة، نينوى، باجلي، والمرج وبانهدرا، باعذرا وحبتون، بانقلى، حزّة وبانعاس والمعلة ورامين والحناية وابجرمى وبابغيش والداسن، وكفر عزى[4]. ومقدار خراجها أربعة آلاف ألف درهم[5].

وفي الموصل جبل يُسمَّى شَعْرَان تكثر فيه الأشجار ويُطلق عليه اسم الشعراء، ويقال بل هو جبل بباجرمى ويُسمَّى جبل قنديل، وبالفارسية بخت

---

(١) فراسخ، جمع فرسخ: اختُلف فيه فقيل فارسي معرَّب وأصله فرسنك، وقال اللغويون: الفرسخ عربي محض، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، والإصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م)، المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، وضع حواشيه وعلَّق عليه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص٣٥- ص٣٦؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ/١٣١١ م)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ/ ١٩٦٣م، فصل ف، باب خ، مادة الفرسخ، ج ٣، ص٤٤.

(٢) المسالك والممالك، ص ٩٥.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٧٠.

(٤) مختصر كتاب البلدان، ص١٣١.

(٥) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٣١.

شيرويه، وهو من أعمر الجبال، وتكثر فيه الكمثرى والعنب وأنواع الطيور، وأشجار كبيرة تُقطع وتُحمل إلى العراق[1].

أمَّا عن المسافات بين الموصل والمدن المجاورة لها؛ فأشار ابن الفقيه الهمذاني من الموصل إلى بلد ٧ فراسخ، ومن نصيبين[2] إلى أرزن[3] ذات اليمين ٣٧ فرسخاً، ومن آمد[4] إلى الرقة[5] ٥٤ فرسخاً[6].

ت: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل:

علَّق الإصطخري متحدِّثاً عن الموصل بشكلٍ مختصرٍ دون أنْ يسهب في وصفها مكتفياً بذكر طبيعة أرضها ومُناخها.

---

(١) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) نصيبين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار ٩ فراسخ، وبينها وبين الموصل ٦ أيَّام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٧.

(٣) ارزن: وهي مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، كانت من أعمر نواحي أرمينيا، من أشهر علمائها أبو غسَّان عياش بن إبراهيم الارزي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٥٠.

(٤) مدينة آمد: وهي مدينةٌ قديمةٌ حصينةٌ مبنيَّةٌ من الحجارة السوداء، لها خمسة أبواب، فيها بساتين كثيرة ونهر جارٍ، وهي باردة لقربها من الجبال، تُصنع فيها ثياب من الصوف والكتان ويحيط بالمدينة سور، جامعها يقع وسط المدينة، افتُتحت سنة ٢٠هـ/٦٤٠م؛ إذ سار إليها عياض بن غنم، فنزل عليها وقاتله أهلها ثمَّ صالحوه عليها على عدَّة شروط. المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص١٤٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٣، ٦٦٣ – ٦٦٥، ٨١٥، ٨٢٦ – ٨٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦ وص٥٧.

(٥) الرقة: وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ٣ أيَّام، معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنَّها من جانب الفرات الشرقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٥.

(٦) مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٣.

فعلَّقَ واصفاً إيَّاها: "صحيحة التربة والهواء ليس لهم سوى ماء دجلة للشفة وليس لهم من دجلة زرع ولا شجر إلَّا الشيء اليسير في عدوة دجلة من شرقيها وزروعهم مباخس وفواكههم تحمل من سائر النواحي وهي مدينة عامَّة أبنيتها بالجص والحجارة كثيرة غناء"[١].

أمَّا سنجار؛ فوصفها الإصطخري بأنَّها بلد النخيل، فليس هناك مدينة في الجزيرة أكثر نخيلاً منها[٢]. أمَّا المسافات بين الموصل والمدن الأخرى؛ فأشار إليها الإصطخري من تكريت إلى الموصل ٦ أيَّام، ومن الموصل إلى آمد ٤ أيَّام[٣]، ومن الموصل إلى بلد مرحلة، ومن بلد إلى نصيبين ٣ مراحل[٤].

ث: وصف ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) مدينة الموصل:

وصفَ الجغرافيُّ ابن حوقل الموصل موضِّحاً أهمَّ ما امتازت به هذه المدينة من مُناخ صحِّيٍّ، وتربةٍ غنيَّةٍ، وماءٍ وفيرٍ، وثرواتٍ طبيعيةٍ متنوِّعةٍ.

فقال عنها: "صحيحة التربة والهواء، وشرب أهلها من مائها، وفيها نهر يقطعها اتَّخذه بنو أمية في وسطها، وبين مائها ووجه الأرض نحو ستين ذراعاً وزائد وناقص، ولم يك بها كثير شجر ولا بساتين إلا . القليل اليسير، فلمَّا تملَّك بنو حمدان[٥] ورجالهم غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكرم وغزرت

---

(١) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٣.

(٢) مسالك الممالك، ص ٧٣.

(٣) مسالك الممالك، ص ٧٢.

(٤) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٢.

(٥) بنو حمدان: الإمارة الحمدانية: وهي الإمارة التي أسَّسها عبد الله بن حمدان (٣١٧-٤٠٢هـ)/ (٩٢٩-١٠١١م)، واشتملت إمارته على الموصل ومعظم الجزيرة الفراتية، وامتدَّ نفوذه إلى بلاد الشام. وقد تمكَّنَ الأمير عضد الدولة البويهي من القضاء على نفوذ هذه الإمارة في الموصل والجزيرة الفراتية سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. وعلى الرغم من انحسار نفوذ هذه الإمارة فقد استمرَّت في بلاد الشام حتَّى سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م حينما تمكَّن

الفواكه وغُرست النخيل والخضر، وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبى أموالها وارتفاعها، ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة إليها وارتفاع وجبايات زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان"[1].

إنَّ هذا الوصف الدقيق لابن حوقل للموصل يؤكِّد لنا اهتمامه الواضح بدراستها والاطِّلاع على كلِّ ما يتعلَّق بها، فهنا يصف لنا طبيعة تربتها وعذوبة هوائها ومائها، ويؤكِّد اهتمام بني حمدان بزراعة أراضيها بعد أنْ أصابها الإهمال في العهود التي سبقتهم، مِمَّا زاد من جباياتها وأموالها، فأصبحت مركزاً للسلطة ولأهمِّ مؤسَّسات الدولة.

وأضاف قائلاً: "إنَّ للموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال وكثرة الضياع وعظم المحل وغزر السكَّان وأهل الأسواق، إذ كانت أسواقها واسعة وأحوالها في الشرف والفخم ظاهرة، وهي مدينة أبنيتها بالجصِّ والحجارة، كبيرة غناء، وأهلها عرب، ولهم بها خطط، وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة، وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان، وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة... ممَّا يكون في السوق المائة حانوت وزائد بها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت إليها سكَّان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهم إليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها..."[2].

صالح بن مرداس من فرض سيطرته على حلب وقضى على الإمارة الحمدانية. يُنظر: مسكويه، أبو علي بن محمَّد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ج٢، ص٣٨٢؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي مكرم محمَّد بن محمَّد (ت ٦٣٠ه/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٧، ص٩٢ - ٩٣؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك الأفضل نور الدين (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٤٦ – ١٤٧.

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢١٥.

وهنا يقارن ابن حوقل بين أعمال الموصل ونصيبين، مؤكِّداً سعتها، وهذا الأمر بالطبع انعكس على كثرة أسواقها وأبنيتها المبنيَّة من الجصِّ والحجارة، فضلاً عن الحمامات والمحالِّ الكبيرة، فكانت محطَّ إعجاب الكثير، فسكنوا بها لخيراتها ورخص أسعارها، مشيراً إلى أنَّ معظمهم من ناقلة الكوفة والبصرة.

فضلاً عن أنَّها فرضة لأذربيجان وأرمينيا والعراق والشام[1]، وهذا يؤكِّد لنا أهمِّيَّتها الاقتصادية لدى الدول والبلدان المجاورة لها.

وأشارَ ابنُ حوقل: "ولها بوادٍ وأحياء كثيرة تصيّف في مصائفها وتشتو في مشاتيها من أحياء العرب وقبائل ربيعة ومضر واليمن وأحياء الأكراد كالهذبانية والحميدية... وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة... وبأملاكهم ويسارهم على الأيَّام استطالة واقتدار كبني فهد وبني عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن... وبني أود وبني زبيد وبني الجارود وبني أبي خداش... والعمريين وبني هاشم وغير ذلك..."[2].

تحدَّثَ ابن حوقل هنا عن طيبة مُناخها في فصل الصيف والشتاء، ممَّا شجَّع عدَّة قبائل على السكن فيها، ولا سيَّما من الأشراف والوجهاء، وسواء كانوا من العرب أم الكرد.

أمَّا عن نواحي الموصل ورساتيقها؛ فأشار قائلاً: "وللموصل نواحٍ عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع، فمن ذلك رستاق نينوى وكانت به مدينة في سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة آثارها بيّنة وأحوالها ظاهرة وسورها مشاهد، وكانت البلدة التي بعث الله تعالى إلى أهلها يونس بن متي "عليه السلام"، ويحادّ هذا الرستاق على جلالته وعظمه وقربه إلى حوزته رستاق المرج، وهو أيضاً فسيح واسع

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٥.

(٢) صورة الأرض، ج١، ص ٢١٥-٢١٦.

كثير الضياع والماشية والكراع وفيه مدينة تُعرف بسوق الأحد وفيها أسواق ولها موعد لأوقات يحضر فيها السوق يجتمع فيه المتاع وسائر التجارة والاكرة والأكراد، وكانت مدينة كثيرة الخير خصبة تحادّ الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماؤها إلى الزابي الكبير... "[1].

حرص ابن حوقل على الإشارة إلى كور الموصل ورساتيقها، وهي آهلةٌ بالسكَّان لسعة خيراتها الطبيعية وفي مقدِّمتها نينوى، فضلاً عن أهمِّيَّتها الدينية، ووصف رستاق المرج الغني بثرواته الزراعية والحيوانية وأسواقه العامرة.

أسهب ابنُ حوقل بذكر رساتيق الموصل واصفاً إيَّاها قائلاً: "ويجاور هذا الرستاق أرض حزة ورساتيقها وهو إقليم بينه وبين أعمال المرج الزابي الكبير وفيه مدينة تُعرف بكفر عزى يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذو يسار وهي مدينة قصدة فيها أسواق وضياع وبها خير ورخص ومنها يمتاز الأعراب وينزل في نواحيها الأكراد، وفردى وبازبدى رستاقان عظيمان متجاوران فيهما الضياع الجليلة الخطيرة... ورستاق باهدرا وهو أيضاً عظيم جليل الضياع والدخل والمرافق والعائدة، ورستاق الخابور وفيه مدن كثيرة وأعمال واسعة تجاور رستاق سنجار... وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة، ورستاق معلثايا وفيشابور وهما رستاقان خطيران معدودان في نفائس الأعمال ومحاسن الكور بكثرة الغلات والخيرات والتجارات"[2].

وصف ابن حوقل خيرات رسايتق الموصل و تنوُّع سكَّانها، فمنهم العرب والكرد، فضلاً عن استقرار عددٍ من النصارى، مِمَّا يؤكِّد لنا اختلاف الأجناس التي سكنتها منذ القدم و تنوُّع معتقداتهم الدينية، والجميع يعيش في أمانٍ وسلامٍ، مِمَّا يدلُّ على التسامح الديني بينهم.

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) صورة الأرض، ج١، ص ٢١٧.

أشار ابن حوقل إلى زيارته الموصل قائلاً: "وحضرتُ مدينة الموصل آخر دخلة دخلتها سنة ثمان وخمسين، فألفيتُ ارتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى والحرج وكورة حزة ستة آلف كرّ حنطةً وشعيرًا قيمتها من الورق ثلاثة آلف ألف درهم، ومن الحبوب والقطاني ثلثمائة كُرّ قيمتها من العين عشرة آلف دينار"[1].

يعدُّ ابن حوقل شاهد عيان دون ما شاهده في كتابه عن الموصل اثناء زيارته لها، مؤكِّداً ارتفاع غلات المدينة وجودة محاصيلها.

أشار ابنُ حوقل إلى جملة ما يُجبى من خبراتها قائلاً: "ومن الورق... عن وجوه أوجب اجتباؤها من جوالٍ وضمانات ومرافق بيت المال رَدَّت عيناً عشرة ألف دينار دون ضياع وسُمت بضياع الاخوة في هذهِ النواحي الثلاث المتقدم ذكرها، وهي أملاك بأيديهم ودخلها حاصل لهم استوفاه كتّابهم أربعة آلف كُرّ حنطة وشعيراً قيمتها من الورق ألفا ألف درهم... وتوابعها من مواجب بيت مال السلطان ألفا دينار قيمتها من الورق ثلثون ألف درهم، وذكر أموال الناحية المتقبل عراصها وجزائرها وبساتينها والمستغلات المختزلة من أصحابها والمشتراة ومال اللطف والجوالي بألفي ألف درهم، وذكر باعربايا وهي من نواحيها ورساتيقها وحدّها فقال من باعيناثا إلى نهر سريا... وعرضها من نواحي سنجار إلى أن تصاقب بازبدى والحاصل دون الواصل بحق المقاسمة إلى الاكرة والمزارعين ثمنية آلف كُرٍّ حنطة وشعيراً قيمتها من الورق... أربعة آلف ألف درهم... وذكر بازبدى فقال حدّها من الضيعة المعروفة بالمقبلة والأحمديّ وباعُوسا والبيضاء إلى حدود الجزيرة ودخلها من الحنطة والشعير الحاصل ألف كُرّ قيمتها من الورق ألف ألف درهم ولها من وجوه الأموال المذكورة المشهورة ألفا دينار وقيمتها ثلثون ألف درهم، وباهدرا وهي من حدّ المغيثة إلى الخابور ومن معلثايا إلى فيشابور والحاصل دون الواصل إلى المزراعين بحق المقاسمة من الحنطة

(١) صورة الأرض، ص ٢١٧.

والشعير ثلثة آلف كُرّ قيمتها مائة ألف دينار وبها من المال عن وجوه أسقائها ومياهها ثلاثون ألف دينار"[1].

نلاحظ هنا دقَّة ابن حوقل في ذكر قيمة غلات رساتيقها، ممَّا يعكس لنا جودتها وزيادة الطلب عليها وزيادة عمليَّات البيع والشراء وإقبال الناس من كلِّ حدبٍ وصوبٍ على الشراء والتجارة، وهذا دليل على ارتفاع مستوى المعيشة لسكَّانها.

تحدَّثَ ابن حوقل عن الطواحين في الموصل قائلاً: "وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تُعرف بالعُروب يقلُّ نظيرها في كثير من الأرض لأنَّها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثَّقة بالسلاسل الحديد، في كلِّ عربة منها أربعة أحجار ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقرًا، وهذه العروب من الخشب والحديد وربَّما دخل فيها شيء من الساج"[2].

يبدو أنَّ ما امتازت به طواحين الموصل من ميزات قلَّ نظيرها في العالم الإسلامي، فهو يصفها بدقَّةٍ، فهي قائمة في وسط ماء شديد الجريان وموثَّقة بالسلاسل ومصنوعة من الساج والحديد، مِمَّا يدلُّ على قوَّتها.

وعن مدينة سنجار تحدَّث ابنُ حوقل قائلاً: "ومدينة سنجار على تسعة فراسخ من بلدٍ، وهي في وسط البرية وفي سفح جبل قصب ولها أنهار جارية وعيون مطردة وأسماء ومباخس، وضياعها قريبة الحال، وعليها سور من حجر يمنع عن أهلها عند تظافرهم وقد شابها من نسيم الزنيم ونالها من البلاء ما يُشبه الزمان، وبها مع رخص أسعارها وكثرة خيرها وفواكهها الصيفية فواكه شتوية ممَّا يكون اختصاصه في بلاد الصرود كالسماق والجوز واللوز والزيتون والاترج والسمسم والرمان الكبير المحفَّف حبه الدائم إلى العراق والنواحي جهازه وحمله، وبقرب سنجار بين شمالها وغربها الحيال وهو وادٍ من أودية ديار ربيعة فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب... يسكنه قوم من

---

(١) صورة الأرض، ج١، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) صورة الأرض، ص ٢١٩.

العرب قاطنين فيه مخفرين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب، وليس بالجزيرة مدينة ذات نخيل في وقتنا هذا أكثرُ من سنجار إلَّا أن يكون على الفرات ونواحي هيت والأنبار"[1].

لم ينسَ ابنُ حوقل الحديث عن سنجار وخيراتها الطبيعية من الزروع والأنهار، وأشار إلى وجود وادٍ من أودية ديار ربيعة استوطنت فيه قبائل عدَّة عربية، منها نمير، وكلاب، وعقيل، وغيرها، وهذا يؤكِّد أنَّها آهلة بالسكَّان.

ج: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) مدينة الموصل:

اتَّفق المقدسيُّ مع غيره من الجغرافيين في وصف الموصل وخيراتها المتنوِّعة ومظاهرها العمرانية، وهذا يؤكِّد استمرار تطوُّر هذه المدينة عبر المراحل التاريخية المختلفة.

فيصف الموصل قائلاً: "هي مصر هذا الإقليم، بلد جليل حسن البناء طيِّب الهواء صحيح الماء كبير الاسم قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من إسناد عالٍ وفقيه مذكور، منها ميرة بغداد وإليه قوافل الرحاب وله منارة وخصائص وثمار حسنة وحمَّامات سريَّة ودور بهيَّة ولحوم جيِّدة وأمور جامعة، غير أنَّ البساتين بعيدة وربح الجنوب مؤذية وماء النهر بعيد المستقى، والبلد... مثل البصرة ليس بالكبير في ثُلثه شبه حصن يسمَّى المربعة على نهر زبيدة ويُعرف بسوق الأربعاء داخله فضاء واسع به... وبين الجامع والشط رمية سهم... يصعد إليه بدرج من نحو الشطِّ ودرجه من قبل الأسواق أقل كله أزاجات من حجارة... بها أبواب وأكثر الأسواق مغطاة، والآبار مالحة وشربهم من دجلة ومن نهر زبيدة، من دروبه درب دير الأعلى درب باصلوت درب الجصاصين درب بني ميدة درب الجصاصة درب رحا أمير المؤمنين درب الدباغين درب جميل، والبلد على الشطِّ وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نونوى

---

(١) صورة الأرض، ج١، ص ٢٢٠-٢٢١.

القديمة... ونونوى بقرب الموصل وهي مدينة يونس ابن متي "عليه السلام" عليها حصن... وهي الآن مزارع على جانب منها نهر الخوُصر"[١].

إنَّ وصف المقدسي هنا لمدينة الموصل لا يختلف تماماً عن وصف من سبقه من الجغرافيين، فهو يؤكِّد هنا طيب هوائها وعذوبة مائها وجمال أسواقها وفنادقها وبساتينها، ووصف أيضاً نينوى ومكانتها المقدَّسة لدى عامَّة الناس؛ لكونها مدينة النبي يونس - عليه السلام - واهتمام السلطة ببناء الحصون حولها.

وعن مدينة سنجار أشار المقدسيُّ إلى أنَّها تقع في مفازة بها نخل كثير لارتفاع درجات الحرارة فيها، فضلاً عن كثرة الاساكفة فيها، وشربهم من نهر عذب، وعيون كثيرة[٢].

ويعرج هنا ذاكراً أهمَّ المحاصيل التي تصدرها الموصل، مِمَّا يؤكِّد لنا كثرة خيراتها الطبيعية قائلاً: "ترتفع من الموصل الحبوب والعسل... والفحم، والشحوم والجبن، والمنُّ، والسماق، وحبُّ الرمان، والقير، والحديد، والاسطال، والسكاكين والنشاب... والسلاسل"[٣]، وفرك اللوز، والقصب[٤].

وتحدَّثَ المقدسيُّ قائلاً: "بسواد الموصل مسجد يونس "عليه السلام" وآثاره عند نونوى القديمة، موضع يُسمَّى تل توبه على رأسه مسجد ودور للمجاورين بنته جميلة ابنة ناصر الدولة وأوقفت عليه أوقافًا جليلةً"[٥]. وهو الموضع الذي خرج إليه قوم يونس - عليه السلام - لما أيقنوا بالعذاب[٦].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم ج١، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢)أحسن التقاسيم، ص١٣٧، ١٤٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٥.

(٥) أحسن التقاسيم، ص ١٤٦.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٦.

لم ينسَ المقدسيُّ هنا الإشارة إلى المساجد في الموصل، ولا سيَّما في نينوى، ومنها مسجد النبي يونس - عليه السلام -، واهتمام الإمارة الحمدانية ببنائه وعمرانه ووقف الأوقاف عليه.

ح: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) مدينة الموصل:

تغزَّلَ ياقوت الحموي بمدينة الموصل عن طريق وصفه لها، ولما تحويه من خيراتٍ وموارد طبيعية متعدِّدة، وعدَّها واحدة من أهمِّ قواعد بلاد الإسلام.

وصفها قائلاً: "بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رفعة، فهي محطُّ رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح طبرستان[1]، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور[2]

---

(١) طبرستان سُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنَّ طبر بالفارسية يعني الفأس وسبب تسميتها بذلك لكثرة اشتباك أشجارها فإنَّ الجيش لا يسلك فيها إلَّا بعد أن تقطع أشجارها بالطبر. أمَّا إستان فتعني الناحية، وهي في غاية المنعة والحصانة بالجبال المنيعة المحيطة بها من كلِّ جانب، وفي وسط الجبال الأراضي السهلة، وفيها من المياه والغياض الكثيرة ما لا يساويها في بلدٍ آخر، وهي كثيرة الأمطار، يصنع فيها ثياب الحرير والصوف والفُرش والأكسية، من أهمِّ مدنها: سالوس، ميلة، مامطير، طميسة وغيرها. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص٣٠١ – ٣١٠؛ الإصطخري، مسالك الممالك، ص٢١١، ٢١٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج٢، ص٣٨١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج٢، ص٣٥٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٣ – ١٨.

(٢) نيسابور: مدينة واسعة كثيرة الكور، تُعرف باسم أبرشهر، من أهمِّ مدنها البوزجان، مالن، زوزن، وهي مدينة تقع في أرضٍ سهليةٍ، ولها مدينة حصينة وقهندز وربض وهما عامران، ومسجدها الجامع يقع في ربضها، ولقهندزها بابان، وللمدينة أربعة أبواب، ولربضها أيضًا عدَّة أبواب، أهلها أخلاطٌ من العرب والعجم، فيها الكثير من العيون والأودية، ومنها يشربون المياه. لمزيد من التفاصيل يُنظر: ابن الفقيه الهمذاني، مختصر

لأنَّها باب الشرق، ودمشق لأنَّها باب الغرب، والموصل لأنَّ القاصد إلى الجهتين قلَّ ما لا يمرُّ بها..."[1].

جعل ياقوت الحموي من مدينة الموصل حلقةَ وصل بين عدَّة مدن من المشرق الإسلامي ومفتاح المرور إليها، وهذا يدلُّ على أهمِّيَّتها اقتصاديّاً وسياسيّاً.

وأضافَ أنَّ للموصل ولايةً ورساتيق وخراج يبلغ ٤ آلاف ألف درهم، عُمرت وتضاعف خراجها وكثُر دخلها[2]. وأشار إلى أنَّ أهمَّ رساتيقها الطبرهان، السن، الحديثة، المرج، باعذار، حبتون، كرمليس، المعلة، رامين، جهينة، المحلبية، نينوى، بارطلى، باهذار، باجرمى، دقوقا، خانيجار[3].

ذُكر أنَّ الغريب إذا أقام في الموصل سنة تبيَّن في بدنه فضل وقوَّة[4]. وهذا يدلُّ على ما تتمتَّع به من مُناخٍ صحِّيٍ، كما أشرنا سابقًا.

امتازت الموصل بهوائها الصحيح وعذوبة مائها، وليس فيها عيب سوى قلَّة بساتينها، وعدم جريان الماء في رساتيقها، وشدَّة حرِّها في الصيف، وشدَّة بردها في الشتاء[5].

أمَّا أبنيتها؛ فهي حسنةٌ جيِّدةٌ وثيقةٌ بهيَّة المنظر؛ لأنَّها بُنيت بالنورة والرخام، ودورهم كلُّها آزاج وسراديب مبنيَّة، ولا يستعملون الخشب في سقوفهم نهائيّاً، وقلَّ ما عُدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلَّا وجد

كتاب البلدان، ص٣٢١؛ الإصطخري، مسالك الممالك، ص٢٥٤- ٢٥٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج٢، ص٤٣١- ٤٣٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج٢، ص٢٩٩- ٣٠٠، ٣٢٣، ٣٣٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦٥، ٦٧، ١٥٣.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٢٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٢٢٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٢٢٤.

فيها[1]. أمَّا سورها؛ فيشتمل على جامعين تقام فيهما الجمعة: أحدهما بناه نور الدين محمود وهو في وسط السوق، والآخر على نشز من الأرض قديم بناه الخليفة مروان بن محمَّد[2].

لم يكتفِ ياقوت الحموي بهذا القدر في وصف الموصل، بل عرج على وصف سنجار وقال عنها: "بكسر أوَّله، وسكون ثانيه ثم جيم، وآخره راء، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيَّام، وهي في لحف جبل عالٍ، ويقولون إنَّ سفينة نوح "عليه السلام" لمَّا مرَّت به نطحته، فقال نوح هذا سن جبل جار علينا، فسُمِّيت سنجار"[3].

وذُكر أنَّها سُمِّيت نسبةً إلى بانيها وهو بنو البلندي بن مالك بن دعر بن بويب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم[4]. وهناك من أشار نسبةً إلى سنجار بن دعر، وهو أوَّل من نزلَهَا فسُمِّيت باسمه[5]. وهي مدينةٌ طيِّبة، في وسطها نهرٌ جارٍ، وهي عامرة جدًّا، أمامها وادٍ فيه بساتين ذات أشجار ونخل وترنج ونارنج[6].

خ: وصف الإدريسي (ت٦٥٠هـ/١١٦٤م) مدينة الموصل:

لم يختلف الإدريسي عمَّن سبقه من الجغرافيين في وصفِهِ مدينة الموصل، بل جاء رأيه مؤكِّداً ومعزِّزاً لما ذكروه.

فقال عن الموصل: "... صحيحة التربة معتدلة الهواء، وشرب أهلها من ماء دجلة، وفيها نهر يقطعها في وسطها وبين مائه ووجه الأرض نحو من ستين ذراعاً، وبساتينها قليلة وضياعها ومزارعها ممتدَّة، وأبنيتها بالجص

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٢٢٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٢٤.

(٣) معجم البلدان، ج٣، ص ٤٥٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٥٩.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٥٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٥٩.

والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة، منها رستاق نينوا، وهي مدينة قديمة أزلية بها آثار بينة، وهي البلدة التي بعث إليها يونس بن متي (عليه السلام)"[1].

أمَّا عن مدينة سنجار؛ فأشار قائلاً: "سنجار من مدينة بلد في البرية غربًا، وهي في سند جبل بها مياه وضياع، وعليها سور من حجر حصين، وبها ثمار كثيرة"[2].

وصف الإدريسيُّ الموصل بشكلٍ لا يختلف عمَّن سبقه من الجغرافيين، وربَّما نقل عنهم، فهي غنيَّة بخيراتها وبمُناخها المعتدل، فضلاً عن وصفِهِ مدينة نينوى وسنجار وأهمَّ المظاهر العمرانية فيهما.

د: وصف القزويني (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) مدينة الموصل:

لم يختلف القزويني عن بقيَّة الجغرافيين في حديثه عن الموصل، غير أنَّه جاء بمعلومات مهمَّة في وصفها، ربَّما زارها وشاهد معالمها، وربَّما سمع أخبارها من أحدهم.

قال عن الموصل: "المدينة العظيمة المشهورة التي هي إحدى قواعد بلاد الإسلام، رفيعة البناء ووسيعة الرقعة، محط رحال الركبان... لها سورٌ وفصيل وخندق عميق... وحواليها بساتين. وهواؤها طيِّب في الربيع، أمَّا في الصيف فأشبه شيء بالجحيم! فإنَّ المدينة حجرية جصِّيَّة تؤثِّر فيها حرارة الصيف... وخريفها كثير الحمى تكون سنة سليمة والأخرى موبئة، يموت فيها ما شاء الله، وشتاؤها كالزمهرير"[3].

تحدَّثَ القزويني هنا عن عظمة الموصل وتاريخها العريق، وأشار إلى سورها وخندقها، ما يعكس توافر وسائل الدفاع عنها وتعرُّضها لهجمات

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٥٩.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٥٩.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦١.

الأعداء، ولم ينسَ الإشارة إلى طبيعة مُناخها وعذوبة هوائها في الربيع، وارتفاع درجات الحرارة صيفاً وانخفاضها شتاءً.

أمَّا عن أبنيتها؛ فقال: "بها أبنية حسنة وقصور طيّبة على طرف دجلة. وفي نفس المدينة مشهد جرجيس النبي "عليه السلام"، وفي الجانب الشرقي منها تل التوبة، وهو التلُّ الذي اجتمع عليه قوم يونس "عليه السلام" لمَّا عاينوا العذاب وتابوا وآمنوا فكشف الله تعالى عنهم العذاب، وعلى التلِّ مشهد مقصود يقصده الناس كلَّ ليلة جمعة وينذر له النذور"[1].

وتحدَّثَ عن جمال أبنيتها عن طريق إشارته إلى الأماكن المقدَّسة فيها، ومنها مشهد النبي جرجيس "عليه السلام"، وتل التوبة، وهذه إشارة إلى بقاء هذه الأماكن المقدَّسة حتَّى عصره.

وعن خيراتها الطبيعية قال: "وبها بساتين نزهة... في غاية الحسن والطيب. وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها، ونصب النواعير على الماء يديرها الماء بنفسه، ونصب العربات وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة. وتُنقل من موضع إلى موضع، وفي الجانب الشرقي عند انتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح على أرض ذات حصباء، يتَّخذ الناس عليها سرراً وقباباً من القصب في وسط الماء، يسمُّونها السواريق ويبيتون فيها ليالي الصيف. يكون هواؤها في غاية الطيب، وإذا نقص الماء وظهرت الأرض زرعوا بها القثاء والخيار، فتكون حول القباب مقثاة ويبقى ذلك إلى أوَّل الشتاء"[2].

إنَّ طبيعة مُناخ الموصل أسهم إلى حدٍّ كبيرٍ في زيادة خيراتها، ولا سيَّما انتفاع سكَّانها من نهر دجلة مع بناء قناة لهم واستخدام النواعير والطواحين، وهذا ساعدَ على تلطيف الهواء وزراعة مساحات شاسعة من الأراضي.

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦١.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦١-٤٦٢.

وتكلَّمَ القزويني عن أهل الموصل مادحاً إيَّاهم قائلاً: "وأهلها أهل الخير والمروءة والطباع اللطيفة في المعاشرة والظرافة، والتدقيق في الصناعات، وما فيهم غلا من يحبُّ المختطين"[1].

قال الشاعر[2]:

كَتَبَ العذارُ على صَحيفَة خدِّه بَالَغْتُ في اِستخْراجِهِ فَوَجَدْتُهُ
سَطْرًا يَلُوحُ لِنَاظِرِ المُتأمِّلِ لا رَأيَ إلَّا رَأيَ أهْلِ المَوصِلِ

وعن مدينة سنجار أشار القزويني الى: "مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ونصيبين، في لحف جبل عالٍ، وهي طيّبة جدًّا، كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة، كأنَّها مختصر دمشق، وما رأيتُ أحسن من حمَّاماتها، بيوتها واسعة جدّاً وفرشها فصوص، وكذلك تأزيرها، وتحت كلِّ إنبوبة حوض حجرية مثمنة في غاية الحسن، وفي سقفها جامات ملونة الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض على وضع النقوش، فالقاعد في الحمام كأنَّه في بيت مدبّج"[3].

اتَّفق القزويني مع غيره من الجغرافيين عند حديثه عن سنجار، فهي طيّبة الهواء، كثيرة المياه والبساتين والعمران، وأشار إلى سعة حمَّاماتها وجمال أبنيتها.

وبالقرب من سنجار بُني قصر والي مصر عبَّاس بن عمرو الغنوي، وهو قصرٌ ضخمٌ عجيب العمارة مطلٌّ على بساتين ومياه كثيرة، وهو من أطيب المواضع وأحسنها، ولهذا كان ينزل هذه المدينة عددٌ من الأمراء والملوك لطيب مكانها وحسن عمارتها[4].

وأشارَ إلى عددٍ من الأديرة القريبة من الموصل، منها:

---

(١) آثار البلاد، ص ٤٦٢.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦٢.

(٣) آثار البلاد، ص٣٩٣.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص٣٩٣.

١- دير الجُبّ: ويقع بين الموصل وإربل يقصدُه الناس لدفع الصرع فيبرأ كثيرٌ منهم[١].

٢- دير الخنافس: يقع غربي دجلة بالقرب من الموصل على جبل شامج، وهو ديرٌ صغيرٌ لا يسكنه أكثر من راهبين، وهو نزه لعلوِّه على الضياع وإشرافه على أنهار نينوى، وله عيد في كلِّ عام مرَّة، يقصده أهل تلك الضياع ثلاثة أيَّام تسود حيطانه وسقوفه وفرشه من الخنافس الصغار اللواتي يشبهن النمل، فإذا انقضت هذه الأيَّام تختفي هذه الخنافس، فإذا علم الرهبان بقرب هذه الأيَّام يخرجون ما في الدير من القماش[٢].

٣- ودير سعيد: يقع غربي الموصل، وهو حسن البناء واسع الفناء، يُغطَّى بأنواع من الأزهار والأنوار في فصل الربيع، ولتربتها خاصِّيَّة عجيبة في علاج لدغة العقارب[٣].

٤- دير العذارى: يقع بين الموصل وباجرمى، وهو قديمٌ فيه تسكن نساءٌ عذارى ترهَّبنَ وأقمنَ به للعبادة[٤].

٥- دير القيارة: يقع بالقرب من الموصل في الجانب الغربي، مشرف على دجلة، تحته عين ماء حارَّة، يصبُّ في دجلة ويخرج معه القار، ولهذا يُحمل الكثير منه إلى بلدان متعدِّدة، وأهل الموصل يقصدون هذا المكان للنزهة، ويستحمون في هذا الماء فهو يشفيهم من البثور ومعالجة عدَّة أمراض[٥].

٦- دير متي: يقع في شرقي الموصل على جبل شامخ، يطلُّ على جميع رستاق نينوى، وهو دير عجيب البناء، أكثر بيوته منقورة في الصخر، فيه نحو مئة راهب لا يأكلون إلَّا جمعاً في بيت الشتاء أو بيت الصيف، وهما منقوران

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ص٣٦٩.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص٣٧٠.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص٣٧٠.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص٣٧٠.

(٥) القزويني، آثار البلاد، ص٣٧١.

في صخر، كلُّ بيت فيهما يتَّسع لجميع الرهبان، وفي كلِّ بيت عشرون مائدة منقورة في الصخر، وفي ظهر كلِّ واحدةٍ منها بيت صغير عليه باب مغلق، ولرأس الدير مائدة لطيفة على دكَّان في صدر البيت يجلس إليها وحده، وكلُّ ذلك منحوتٌ من الحجر ملصق بالأرض[1].

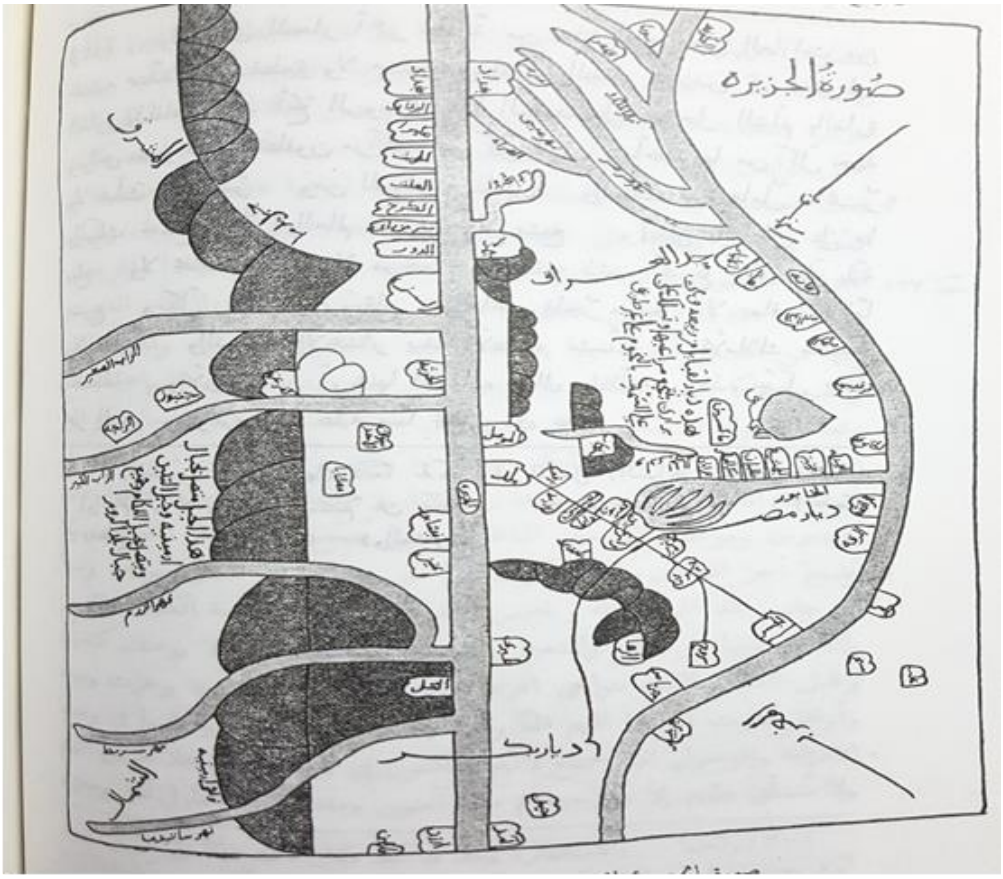

ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢٠٦.

(١) القزويني، آثار البلاد، ص٣٧٢.

الفصل الثالث
مدينة الموصل في كتب الرحَّالة (القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)

* أوَّلاً: رحلة ابن جبير إلى مدينة الموصل (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

* ثانياً: رحلة ابن بطوطة إلى مدينة الموصل (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م).

الفصل الثالث

مدينة الموصل في كتب الرحَّالة (القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)

توافد عددٌ كبيرٌ من الرحَّالة والجغرافيين لزيارة مدينة الموصل، ودوَّنوا أهمَّ مشاهداتهم عنها في مختلف جوانب الحياة السياسية منها والإدارية والاقتصادية والعمرانية. وسوف نتكلم هنا عن أبرز هذه الرحلات، مؤكِّدين ما حظيت به مدينة الموصل من اهتمامٍ ومكانةٍ مميَّزةٍ بين سائر مدن العالم الإسلامي.

أوَّلاً: رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) إلى مدينة الموصل:

زار ابن جبير عدَّة مدنٍ من العالم الإسلامي، وتكمن الأهمِّيَّة التاريخية لرحلته هذه كونه زارها وبقي فيها أربعة أيَّام ووصفها وصفاً دقيقاً، مِمَّا يدلُّ على قوَّة ملاحظته واهتمامه العلمي في تدوين ما شاهده فيها. وسوف نشير هنا إلى أبرز مشاهداته لمدينة الموصل بمختلف جوانبها، مؤكِّدين ما حظيت به هذه المدينة من مكانةٍ مهمَّةٍ عبر التاريخ.

قال ابن جبير عن الموصل: "هذه المدينة عتيقة ضخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أُهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض، وباطن الداخل منها بيوت، بعضها على بعض، مستديرة بجدارة المطيف بالبلد كله، كأنَّه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز وقاية، وهي من المرافق الحربية. وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رُصَّ بناؤها رصَاً، ينتظمها سور عتيق البنية مشيّد البروج، وتتَّصل بها دور السلطان، وقد فصل بينهما

وبين البلد شارع متَّسع يمتدُّ من أعلى البلد إلى أسفله. ودجلة شرقي البلد، وهي متَّصلة بالسور، وأبراجه في مائها"[1].

وصفَ ابنُ جبير الموصلَ بالمدينة العتيقة الكبيرة، وهذه إشارةٌ منه للدلالة على تاريخها القديم، وأشار إلى اهتمام السلطة الحاكمة آنذاك ببناء أبراجٍ وأسوارٍ وقلعةٍ محكمةٍ فيها، مِمَّا يشير إلى تعرُّض المدينة لعدَّة أخطار على مرِّ التاريخ، وعرج ابن جبير على وصف مساكن عامَّة الناس وشوارعها وترتيبها بشكلٍ عمرانيّ، مِمَّا يدلُّ على وجود خبراء ومهندسي بناء مهرة.

وأعطى ابن جبير أهمِّيَّةً كبيرةً لوصف المظاهر العمرانية للمدينة، مشيراً إلى اهتمام السلطة الحاكمة آنذاك بمؤسَّساتها العمرانية، قائلاً: "وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمَّامات والخانات والأسواق، وأحدث فيه بعض أمراء البلدة..."[2].

أشار ابن جبير لأسواق المدينة وحمَّاماتها وخاناتها، فضلاً عن المؤسَّسات الصحِّيَّة آنذاك، ووصفه لها بدقَّةٍ متناهيةٍ، ولا سيَّما حينَ وصفَ جامعها وما حظِيَ به من اهتمامٍ في تزيينه وبنائه.

وأضاف ابنُ جبير قائلاً: "وبنى أيضًا داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجَّار، كأنَّها الخان العظيم، تنغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت، بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيلَ له. فيما أرى في البلاد قيسارية تعدلها"[3].

ونلحظ هنا محاولة ابن جبير لإثارة انتباه القارئ إلى القيساريات التي بُنيت للتجَّار، فضلًا عن الخانات لتكون محطَّة استراحة للسيَّاح والتجَّار والزائرين وطلَّاب العلم، وليس هذا فحسبُ، بل وصف لنا بدقَّةٍ الاهتمامَ الفنِّيَّ بالجانب العمرانيّ.

---

(١) الرحلة، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) الرحلة، ص ١٨٤.

(٣) الرحلة، ص ١٨٤.

وعن جوامعها أشارَ ابن جبير قائلاً: "وللمدينة جامعان: أحدهما جديد، والآخر من عهد بني أُمِّيَّة. وفي صحن هذا الجامع قبَّة، داخلها سارية رخام قائمة، قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلاها خصة رخام مثمَّنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنَّه قضيب من البلور معتدل ثمَّ ينعكس إلى أسفل القبَّة. ويجمع في هذين الجامعين القديم والحديث، ويجمع أيضاً في جامع الربض. وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة، فتلوح كأنَّها القصور المشرفة..." [1].

وأشار أيضاً إلى وجود جامع آخر على شطِّ دجلة قائلاً: "ما أرى وضع جامع أحفل منه، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه، وكلُّ ذلك نقش في الآجر. وأمَّا مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف به شبابيك حديد، تتَّصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن، ووصفه يطول، وإنَّما وقع الإلماع بالبعض جرياً إلى الاختصار، وأمامه مارستان..." [2].

إنَّ إشارة ابن جبير لوجود الجوامع في مدينة الموصل دليلٌ ملموسٌ على التزام سكَّانها بأداء صلواتهم فيها، فضلاً عن الرقي الهندسي في بنائها، وهذا اتَّضحَ عن طريق وصفِهِ لصحن الجامع وقبَّته، وليس هذا فحسبُ، بل إنَّه أشار إلى الدور العلمي والفكري الذي مارسته هذه الجوامع لنشر العلم، ولتكون مركزاً تعليميّاً مهمّاً لطلب العلم من كلِّ حدب وصوب، ولعقد حلقاتهم العلمية فيها.

فضلاً عن إشارته إلى وجود مارستان، أي مشفى صغير للعلاج، ونلحظ أنَّ موقعه قريب من مساكن الناس ليسهل وصولهم إليه عند الضرورة.

---

(١) الرحلة، ص ١٨٤.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص١٨٤.

وأشار ابنُ جبير قائلاً: "وخصَّ الله هذه البلدة بتربةٍ مقدَّسةٍ فيها مشهد جرجيس "عليه السلام"، وقد بُني فيه مسجد، وقبره في زواية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه، وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر، يجده المار إلى الجامع من باب الجسر عن يساره، فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدَّس والوقوف عنده..."[1].

تحدَّثَ ابنُ جبير هنا عن مساجد الموصل والأماكن المقدَّسة في مدينة الموصل؛ كونَها مقدَّسةً لوجود عدد من المشاهد المقدَّسة فيها، مثل مشهد النبي جرجيس - عليه السلام -، وهذه إشارةٌ إلى أنَّ الموصل كانت تستقبل عدداً كبيراً من السيَّاح لزيارة هذه الأماكن المقدَّسة، فضلاً عن طلَّاب العلم.

أشار ابنُ جبير وجود أماكن مقدَّسة أخرى فيها قائلاً: "ومِمَّا خصَّ الله به هذه البلدة أنَّ في الشرق منها إذا عبرت دجلة على نحو الميل تل التوبة، وهو التل الذي وقف به يونس "عليه السلام" بقومه ودعا ودعوا حتَّى كشف الله عنهم العذاب، وبمقربة منه على قدر الميل أيضاً العين المباركة المنسوبة إليه، ويقال: إنَّه أمرَ قومه بالتطهُّر فيها وإضمار التوبة، ثمَّ صعدوا على التل داعين"[2].

ووصفَ ابنُ جبير أهمَّ ما يضمُّه هذا التلُّ قائلاً: "وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط[3] يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات، يضمُّ الجميع

---

(١) الرحلة، ص ١٨٤.

(٢) الرحلة، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) رباط: الربط والمرابطة هي ملازمة الثغور، أي أن يربط كلٌّ من الفريقيين خيولهم في ثغرة، وكل معد لصاحبه، فسُمِّي المقام في الثغر رباط. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، مصر، د.ت، ج٩، مادة الربط، فصل الراء، حرف الطاء، ص١٧٣؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٢، مادة الربط، فصل الراء، باب الطاء، ص٣٦٠- ٣٦١.

باب واحد، وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر وينغلق دونه باب كريم مرصع كله، يقال: إنَّه كان الموضع الذي وقف فيه يونس "عليه السلام" ومحراب هذا البيت، يقال: إنَّه كان بيته الذي كان يتعبَّدُ فيه، ويطيف بهذا البيت شمع كأنَّه جذوع النخل عظماً، فيخرج الناس إلى هذا الرباط كلَّ ليلة جمعة ويتعبَّدون فيه. وحول هذا الرباط قرى كثيرة، ويتَّصل بها خراب عظيم، يقال إنَّه كان مدينة نينوى، وهي مدينة يونس "عليه السلام"، وأثر السور المحيط بهذه المدينة ظاهر، وفرج الأبواب فيه بيّنة، وأكوام أبراجه مشرفة، بتنا بهذا الرباط المبارك ليلة الجمعة السادس والعشرين لصفر، ثمَّ صبحنا العين المباركة، وشربنا من مائها وتطهَّرنا فيها وصلينا في المسجد المتَّصل بها، والله ينفع بالنيَّة في ذلك بمنِّهِ وكرمِهِ"[1].

إنَّ هذا الوصف الدقيق لابن جبير للأماكن المقدَّسة المتعلِّقة بالنبي يونس - عليه السلام - يوضِّح بشكلٍ جليٍّ اهتمام السكَّان والسلطة بها، وهذا واضحٌ عن طريق بناء الربط فيها التي أصبحت مكان تجمُّع الناس للعبادة، وليس هذا فحسب، بل إنَّ عدداً من القرى بُنيت حول الرباط ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه المنطقة كانت مأهولةً بالسكَّان.

ولم يكتفِ ابنُ جبير بوصف المدينة ومظاهرها العمرانية، بل وصفَ أهلها وأهمَّ ما اتَّصفوا به قائلًا: "وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون أعمال البّر، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم. فكان مقامنا في هذه البلدة أربعة أيَّام"[2].

إنَّ وصف ابن جبير لأهل الموصل وبما اتَّسموا به من خلق رفيع وحسن المعاشرة دليلٌ على أنَّه أقامَ بينهم وتحدَّث إليهم، فأحسنوا ضيافته وبالغوا في إكرامه.

---

(١) الرحلة، ص ١٨٤- ١٨٥.

(٢) الرحلة، ص ١٨٤- ١٨٥.

واثناء رحلة ابن جبير إلى الموصل صادفه مرور موكب لنساء الأسرة الحاكمة وتحدَّثَ عنه قائلاً: "ومن أحفل المشاهد الدنيوية المريبة بروز شاهدناه يوم الأربعاء ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتونين: أم عز الدين صاحب الموصل، وبنت الأمير مسعود... فخرج الناس على بكرة أبيهم ركبانًا ومشاةً، وخرج النساء كذلك، وأكثرهن راكبات، وقد اجتمع منهنَّ عسكر جرار. وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته. فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم على احتفال وأبهة قد جللوا أعناق إبلهم بالحرير الملون، وقلدوها القلائد المزوقة"[1].

وأضافَ قائلاً: "ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها، وقد جلّلت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة أهلة ودنانير سعة الأكف وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات، فلا تكاد تبين من القبة موضعا، ومطيتاها تزحفان بها زحفا، وصخب ذلك الحلي يسد المسامع ومطاياها مجللة الأعناق بالذهب، ومراكب جواريها كذلك؛ مجموع ذلك الذهب لا يُحصى تقديره. وكان مشهداً أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار، وكل ملك يغنى إلَّا ملك الواحد القهار، لا شريك له"[2].

إنَّ هذا الوصف الدقيق لابن جبير لهذا المشهد الحافل لعددٍ من نساء الأسرة الحاكمة دليلٌ على المستوى المعيشي والبذخ الذي كانوا ينعمون به، فضلاً عن سردِهِ بدقَّة لأهمِّ المراسيم المتبعة في استقبالهنَّ.

وتحدَّثَ عن الخاتون المسعودية وأهمَّ ما اتَّصفت به: "وأخبرنا غير واحد من الثقات، مِمَّن يعرف حال خاتون هذه، أنَّها موصوفة بالعبادة والخير، مؤثِرة لأفعال البرِّ. فمنها أنَّها أنفقت في طريقها هذا إلى الحجاز، في صدقات ونفقات في السبيل، مالاً عظيماً، وهي تحبُّ الصالحين والصالحات تزورهم

---

(١) الرحلة، ص ١٨٥.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥-١٨٦.

متنكرةً رغبةً في دعائهم. وشأنها عجيب كله على شبابها وانغماسها في نعيم الملك. والله يهدي من يشاء من عباده"[1].

وعن مغادرته للمدينة قال: "وفي عشي اليوم الرابع من المقام بهذه البلدة، وهو يوم الجمعة السادس والعشرين لصفر المذكور، رحلنا منها على دواب اشترياناها بالموصل تفادياً من معاملة الجمالين، على أنَّ القدر المحمود لم يسبّب لنا إلَّا صحبة الأشبه منهم، ومن شكرناه على طول الصحبة، وتماديها من مكَّة، شرَّفها الله، إلى الموصل، ورحلنا منها ضحوة يوم السبت المذكور، وقلنا بقرية تعرف بعين الرصد، وكان مقيلنا تحت جسر معقود على وادٍ يتحدَّر فيه الماء، وكان مقيلاً مباركاً"[2].

ووصفَ ابن جبير لنا قرية عين الرصد التي قضى ليلته فيها قائلاً: "وفي تلك القرية خان كبير جديد. وفي محلات الطريق كلها خانات، واتَّفق مبيتنا تلك الليلة بالقرية المذكورة، وأسرينا منها وأصبحنا يوم الأحد بقرية تُعرف بالمويلحة، وأسرينا منها وبتنا بقريةٍ كبيرةٍ تُعرف بجدال لها حصن عتيق... ثمَّ رحلنا في السحر الأعلى من يوم الاثنين التاسع والعشرين لصفر..."[3].

وصف ابن جبير عند مغادرته لمدينة الموصل عدداً من القرى، مِمَّا يؤكِّد أنَّ معظم الطرق التي سلكها كانت آهلةً بالسكَّان، فمعظمها قرى محصنة توافرت فيها كلُّ سبل الراحة للسيَّاح والزائرين.

ثانياً: رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) إلى مدينة الموصل:

تعدُّ رحلة ابن بطوطة إلى الموصل من الرحلات المهمَّة في تاريخ القرن ٨هـ/١٥م؛ لكونِهِ عاصر مرحلة مهمَّة في تاريخ العالم الإسلامي؛ حيثُ كان

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

(٣) الرحلة، ص ١٨٦.

العـراق آنـذاك تحـت سـلطة المغـول الإيلخـانيين[1] (٦٥١-٧٥٦هـ/١٢٥٣-١٣٥٥م)، وهي تُعدُّ مرحلةً تاريخيةً متأخِّرةً وخصبةً في الوقت نفسِهِ.

(١) المغـول الإيلخانيون (٦٥١-٧٥٦هـ/١٢٥٣-١٣٥٥م): أُسِّسـت الدولـة المغوليـة فـي بـلاد فـارس تحـت سـلطة الخـان الأعظـم قـوبيلاي (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م) فـي الصين، قبل أنْ تستقلَّ في أواخر القرن ٧هـ/١٣م في عهد السلطان محمود غـازان(٦٩٤-٧٠٣ه/ ١٢٩٥ -١٣٠٤م)، وسيطرت على الربوع الخصبة الواقعة إلى الشـمال من بلاد فـارس. أوَّل إيلخـان حكمهـا هـو هولاكـو (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥ م) مؤسِّسـها، واتَّخـذ مـن مدينة مراغة عاصمةً له، وحكمَ أبناؤه وأحفاده، وحمل لقب إيل خان، وهـو تعبيرٌ تركيٌّ يتألَّفُ من كلمتين (إيل) بمعنى تابع، و(خان) بمعنى ملك، وهو تعبيرٌ يدلُّ على أنَّها كانت جزءاً من الدولة المغولية في الصين. انتهت هذه الدولة بعد أن تولَّى حكمَهـا عـددٌ مـن الإيلخانات الضعاف سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، رشيد الـدين فضـل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، جـامع التـواريخ، ترجمـة: محمـد صـادق نشـأت، محمـد موسـى هنـداوي وفـؤاد عبـد المعطـي الصيـاد، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، القـاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، م٢، ج١، ص٣٣٢-٣٤٣؛ إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتَّى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ -٨٢٠م/١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) نقله من الفارسية: د. محمـد علاء الـدين منصـور راجعه: أ.د. السباعي محمـد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٤٤٣- ٤٥٩؛ الجاف، حسـن، موسوعة تاريخ إيران السياسي من قيام الدولة الصفارية إلى قيام الدولة الصفوية، الـدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٢٩٧-٣١٢؛ خصباك، جعفر، العـراق فـي عهـد المغـول الإيلخانيين ٦٥٦- ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٥م، الفـتح، الإدارة، الأحـوال الاقتصـادية والأحـوال الاجتماعيـة، مطبعـة العـاني، سـاعدت جامعـة بغـداد علـى طبعـه، بغـداد، ط١، ١٩٦٨، ص ١٠؛ فهمـي، عبـد السـلام عبـد العزيـز، تـاريخ الدولـة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص٣- ٦، ١٥٣؛ طقوش، محمـد سـهيل، تـاريخ المغـول العظـام والإيلخـانيين (٦٠٢-٧٧٢هـ/ ١٢٠٦-١٣٧٠م)، (٦٥١- ٧٥٦هـ)/ ١٢٥٣- ١٣٥٥م)، دار النفـائس للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيـروت، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٨٧- ١٨٩.

فقال عنها واصفاً إيَّاها: "وهي مدينة عتيقة، كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع، عليها سور محكم البناء مشيَّد البروج، وتتَّصل بها دور السلطان، وقد فصل بينها وبين البلد شارع متَّسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله، وعلى البلد سوران اثنان وثيقان، أبراجهما كثيرة متقاربة، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدارة قد تمكّن فتحها فيه لسعته. ولم أرَ في أسوار البلاد مثله، إلَّا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند"[1].

أشارَ ابنُ بطوطة هنا إلى تاريخ المدينة القديم وكونها من المدن القديمة، واصفاً قلعتها الحدباء وأسوارها المحكمة مع انتشار دور السلطان حولها، ولم يكتفِ بذلك، بل وصف شوارعها، وبيوت عامَّة الناس، مِمَّا يدلُّ على وجود نهضةٍ عمرانيةٍ وحضاريةٍ ووعيٍ هندسيٍّ مرموقٍ.

وأضاف ابنُ بطوطة قائلاً: "للموصل ربض كبير، فيه الجوامع والحمَّامات والفنادق والأسواق، وبه جامع على شطِّ الدجلة، تدور به شبابيك حديد، وتتَّصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والإتقان، وأمامه مارستان"[2].

تحدَّثَ ابنُ بطوطة عن الربض الموجود في المدينة ومساحته الواسعة؛ إذ بُنيت فيه الجوامع والحمَّامات والفنادق والأسواق والمشفى، ممَّا يشير إلى تداخل المظاهر العمرانية فيها وملاصقتها لبعضها بعضاً لخدمة السكَّان والزائرين، واصفاً سعة جوامعها وروعة بنائها، فضلاً عن وجود المشفى لمعالجة المرضى، مِمَّا يشير إلى وجود وعي صحِّي وثقافي بينَ أهلها.

ويستطرد ابن بطوطة في وصف جوامع المدينة قائلاً: "وبداخل المدينة جامعان، أحدهما قديم والآخر حديث. وفي صحن الحديث منهما قبَّة في

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ٢٤٩.

(٢) الرحلة، ص٢٤٩.

داخلها خصة رخام مثمنة، مرتفعة على سارية رخام، يخرج منه الماء بقوَّة وانزعاج، فيرتفع مقدار القامة ثمَّ ينعكس فيكون له مرأى حسن"[1].

إنَّ وصفَ ابن بطوطة لجوامع المدينة يدلُّ على ما كانت تتمتَّع به من رخاءٍ اقتصاديّ، واتَّضح هذا الأمر في طبيعة بنائهما من الرخام المثمَّن.

ووصفَ ابنُ بطوطة قيسارية الموصل وأبوابها الحديد وما حوته من بيوتٍ ودكاكين قائلاً: "وقيسارية الموصل مليحة، لها أبواب حديد، ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض متينة البناء"[2].

وعن مشاهد المدينة المقدَّسة تحدَّثَ قائلاً كما فعل ابن جبير: "وبهذه المدينة مشهد جرجيس النبي "عليه السلام"، وعليه مسجد، والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل إليه، وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر. وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده، والحمد لله تعالى"[3].

وسبق أن أشرنا إلى هذا المشهد في رحلة ابن جبير، وهذا يدلُّ على بقائه إلى عصر ابن بطوطة، مِمَّا يؤكِّد اهتمام السلطة الحاكمة ببنائِهِ وترميمِهِ بشكلٍ محكم؛ لأهمِّيَّته الدينية في حياة عامَّة الناس.

وأضاف ابن بطوطة قائلاً: "وهنالك تل يونس "عليه السلام"، وعلى نحو منه العين المنسوبة إليه، يقال إنَّه أمر قومه بالتطهُّر فيها، ثمَّ صعدوا التل ودعا ودعوا، فكشف الله عنهم العذاب، بمقربة منه قرية كبيرة، بقرب منها خراب يقال إنَّه موضع المدينة المعروفة بنينوى، مدينة يونس "عليه السلام"، وأثر السور المحيط بها ظاهر، ومواضع الأبواب التي هي فيه متبينة. وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة، ومقاصر ومطاهر وسقايات، يضمُّ الجميع باب واحد، وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع، يقال إنَّه الموضع الذي به موقف يونس "عليه السلام"، ومحراب المسجد الذي بهذا

---

(١) الرحلة، ص٢٤٩.

(٢) الرحلة، ص٢٤٩.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٤٩.

الرباط يقال إنَّه كان بيت متعبده "عليه السلام"، وأهل الموصل يخرجون في كلِّ ليلة جمعة إلى هذا الرباط يتعبَّدون فيه"[1].

وهنا أشار ابنُ بطوطة إلى موضع تلِّ النبي يونس - عليه السلام - مكرِّراً ما شاهده ابنُ جبير، ومؤكِّداً استمراره إلى وقت زيارته له، واصفاً المسجد والرباط الموجود فيه واهتمام الناس بزيارته لأداء طقوسهم وعباداتهم وللتبرُّك به.

وكما فعل ابن جبير حين وصف مكارم أخلاق أهل الموصل، سار على نهجه ابنُ بطوطة واصفًا إيَّاهم: "وأهل الموصل لهم مكارم أخلاق ولين كلام وفضيلة وصحبة في الغريب وإقبال عليه"[2].

وذكر عن أميرها حين زارها قائلاً: "وكان أميرها حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين بن شمس الدين محمَّد الملقَّب بحيدر، وهو من الكرماء والفضلاء، أنزلني بداره وأجرى عليَّ الإنفاق مدَّة مقامي عنده، وله الصداقات والإيثار المعروف. وكان السلطان أبو سعيد[3] يعظِّمه،

---

(١) الرحلة، ص٢٤٩.

(٢) الرحلة، ص٢٥٠.

(٣) أبو سعيد بهادر بن محمَّد اوليجاتو بن أرغون بن اباقا بن هولاكو (٧١٧-٧٣٦هـ/١٣١٧-١٣٣٥م) وُلد سنة ٧٠٤ هـ/ ١٣٠٤م في أرجان من أعمال تبريز، أمُّه حاجى خاتون بنت سولا ميش بن تنكيز كوركان من قبيلة الاويرات، تزوَّجَ من اولجاي قتلغ خاتون، عيَّنَ أوليجاتو ابنه وولي عهده أبا سعيد البالغ من العمر ٩ سنوات حاكمًا على خراسان، واختار الأمير سونغ مرافقًا له واتابكا له، تولَّى الإيلخانية في سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وعمره ١٣ سنة، واتَّخذَ من جوبان أميرًا للأمراء، وعهد إليه للإشراف على معظم أمور الإيلخانية، واختار جلال الدين بن رشيد الدين الهمذاني وزيرًا ومتصرِّفًا بالشؤون المالية، وولَّى تيمورتاش بن جوبان حاكمًا على بلاد الروم، وخصَّصَ لكلِّ ولاية أميرًا يدير أمورها، عقد تحالفًا مع المماليك، وتميَّز عهده بالهدوء من حيث علاقاته مع أوروبَّا والمماليك، تُوفِّي في عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م على أثر إصابته بالمرض ودُفن في مدينة السلطانية تحت القبَّة التي أقامها بالقرب من هذه المدينة وبالقرب من

وفوَّض إليه أمر هذه المدينة وما يليها. ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده، ووجوه أهل المدينة وكبراؤها يأتون للسلام عليه غدوّاً وعشياً، وله شجاعة ومهابة. وولده في حين كتب هذا في حضرة فاس، مستقرّ الغرباء ومأوى الفقراء ومحطّ رحال الوفود، زادها الله بسعادة أيَّام مولانا أمير المؤمنين بهجةً وإشراقاً، وحرسَ أرجاءها ونواحيها"[1].

نلاحظ هنا أنَّ ابن بطوطة أسهب في الحديث عن أميرها وموكبه وما اتَّسمَ به من أبَّهةٍ ومهابة.

وحينما عزم ابن بطوطة على مغادرة الموصل ذكر قائلاً: "ثمَّ رحلنا من الموصل ونزلنا قريةً تُعرف بعين الرصد، وهي على نهر عليه جسر مبني، وبها خان كبير، ثمَّ رحلنا ونزلنا قرية تُعرف المويلعة"[2].

قبر أبيه، ولم يتجاوز عمره حين تُوفِّي ٣٢ سنة. البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمَّد (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص٥٠٢، ٥٠٣؛ الحافظ آبرو، حافظ آبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ذيل جامع التواريخ رشيدي، بامقدمه وحواشي وتعليقات: دكتر خانبا بايناني، شركت تضامني علمي، تهران، ١٣١٧، ص٦٠- ٧٧، ٨٠- ١٠٩، ١١١-١١٩، ١٢٣- ١٣٣ وما بعدها؛ اليزدي، شرف الدين علي (٨٥٠هـ/١٤٤٧م)، ظفرنامة، محقق: سعيد مير محمد صادق، مصحح: عبد الحسين نوائي، مركز إسناد مجلس، ومركز تحقيقات رايانه أي قائمية، أصفهان، بلا ت، ص١٨٧؛ ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩هـ، ج٤، ص٤٧٨- ٥٣٤؛ طقوش، محمد سهيل، المصدر السابق، ص٣١٧ - ٣٣١.

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٥٠.

(٢) الرحلة، ص ٢٥١.

إنَّ الطريق الذي سلكه ابن بطوطة عند مغادرته الموصل هو نفسه الذي سلكه ابن جبير؛ إذ نزل في قرية عين الرصد ثمَّ قرية المويلعة، مِمَّا يشير إلى أنَّه تعمَّدَ السير في طريقه نفسه، ربَّما لكونه آهلًا بالسكَّان وقليل المخاطر، وربَّما هو الطريق نفسه الذي اعتاد التجَّار والزائرون السير فيه.

وعن رحلته إلى مدينة سنجار قال: "وهي مدينة كبيرة، كثيرة الفواكه والأشجار والعيون المطّردة والأنهار، مبنيَّة في سفح جبل، تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها. ومسجدها الجامع مشهور البركة، يُذكرُ أنَّ الدعاء به مستجاب، ويدور به نهر ماء يشقُّه. وأهل سنجار أكراد، ولهم شجاعة وكرم. وممَّن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي، أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات... لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار، ودعا لي، وزوَّدني بدارهم لم تزل عندي إلى أن سلبني كفَّار الهنود"[1].

يبدو أنَّ ابن بطوطة كان مهتمّاً بزيارة سنجار، واصفاً خيراتها الطبيعية ومظاهرها العمرانية، مثل مسجدها الجامع وأبرز مشايخه.

وحينَ قرَّرَ ابنُ بطوطة العودة إلى بغداد سلك طريق الموصل أيضاً وقال: "ثمَّ رحلتُ عائداً إلى بغداد، فوصلتُ إلى مدينة الموصل... فوجدت ركبها بخارجها متوجّهين إلى بغداد، وفيهم امرأة صالحة عابدة تُسمَّى بالستِّ زاهدة... حجَّت مراراً، وهي ملازمة الصوم. سلَّمتُ عليها وكنتُ في جوارها، ومعها جملةٌ من الفقراء يخدمونها. وفي هذه الوجهة تُوفِّيت رحمة الله عليها..."[2].

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) الرحلة، ص ٢٥٣.

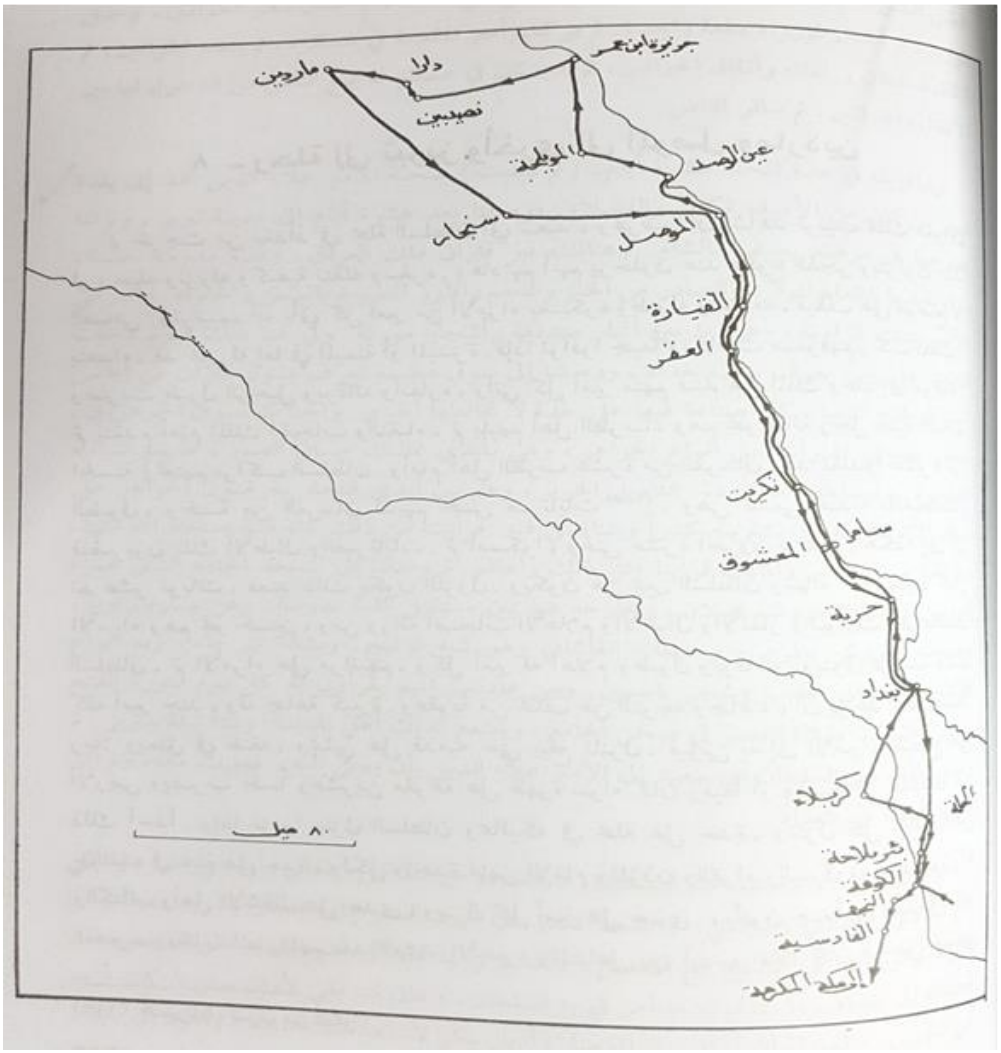

ينظر: ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٤٥.

الفصل الرابع
مدن العراق في مؤلَّفات الجغرافيين (القرن ٣-٤هـ/٩-١٠م)

* أوَّلاً: وصف اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مدينة البصرة.

* ثانياً: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) عدداً من مدن العراق.

* ثالثاً: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) عدداً من مدن العراق.

* رابعاً: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عدداً من مدن العراق.

الفصل الرابع
مدن العراق في مؤلَّفات الجغرافيين (القرن ٣-٤هـ/٩-١٠م)

أوَّلاً: وصف اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مدينة البصرة:

تحدَّث اليعقوبي عن مدينة البصرة وما انمازت به من خيرات وموارد طبيعية ونشاط تجاري، قال عنها: "كانت مدينة الدنيا ومعدن تجاراتها وأموالها، وهي مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطَّة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة فرسخين في فرسخ، فالباطنة منها وهي الجانب الذي يلقى الشمال تشرع على نهرين لها، أحدهما نهر يعُرف بنهر ابن عمر.."[١].

ثانياً: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) عدداً من مدن العراق:

وصف الإصطخري وابن حوقل مدينة البصرة، وذكرا معلوماتٍ مهمَّةً عنها؛ كونها من أهمِّ مدن العراق.

البصرة مدينة عظيمة ولم تكن في أيَّام العجم، اختطَّها المسلمون في عهد الخليفة عُمَر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" (١٣ -٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م)، ومصرها عُتبَةُ بن غزوان (ت ١٧هـ/٦٣٨م)، هي خِططٌ وقبائل، ويحيط بغربيها البادية مقوسة وبشرقيها مياه الأنهار مفترشة[٢].

---

(١) البلدان، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨٠ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٣٥.

وذكرا: "وذكر بعض المؤلِّفين من أصحاب الأخبار أنَّ أنهار البصرة عُدَّت أيَّام بلال بن أبي بُردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر تجري في أكثرها الزواريق، وكنتُ أُنكِرُ ما ذكره من هذا العدد في أيَّام بلال حتَّى رأيتُ كثيراً من تلك البقاع فرُبَّما رأيتُ في مقدار رمية سهم عدداً من الأنهار صغاراً تجري في جميعها السميريات ولكلِّ نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي احتفره أو إلى الناحية التي يصب إليها ويفرع ماؤه فيها وأشباه ذلك من الأسامي، فجوزتُ أن يكون ذلك كذلك في طول هذه المسافة وعرضها ولم أستكثره، وهي من بين سائر العراق مدينة عُشرية ولها نخيل متَّصلة من عبداس إلى عبادان نيف وخمسين فرسخاً متَّصلة لا يكون الإنسان منها بمكان إلَّا وهو في هرٍ ونخيلٍ أو يكون بحيث يراهما، وهي في مستواه لا جبل فيها ولا يكون بحيث يقع البصر على جبل بتَّةْ، وبها آثار أمير المؤمنين (عليه السلام)... والمشاهير من علماء البصرة وزُهادها... "[1].

ذكر الإصطخري وابن حوقل عدداً من أنهار مدينة البصرة ومن أهمها نهر الأبلة طوله أربعة فراسخ ما بين البصرة والأبلة، وعلى جانبي هذا النهر توجد قصور وبساتين متَّصلة كأنَّها بستان واحد مُدّت على خيطٍ ورُصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والأبنية الفاخرة والعُروش العجيبة والأشجار المثمرة والفواكه اللذيذة والرياحين الغضة والبرك الفسيحة المرصُوفة، كما انها لا تخلو من الزائرين المتنزهين[2]

كما ويتشعَّب فوق البصرة ومن تحتها أنهارٌ أخرى كثيرةٌ فمنها ما يقارب هذا النهر في الحجم ولا يقل عنه جمالاً، وكأن نخيلها غُرست ليومٍ واحدٍ، وهذه الأنهار كلها متداخلة بعضها مع بعض فأن حدث مدّ البحر تراجع الماء في كلِّ نهر حتَّى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير صعوبة،

---

(١) الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨٠-٨١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) مسالك الممالك، ص٨١؛ صورة الأرض، ص٢٣٦-٢٣٨.

وإذا جزر الماء عنها خلت منه البساتين والنخيل وبقيت أكثر الأنهار خاليةً فارغةً، ومن الجدير بالذكر ان معظم مياههم مالحة،وفي معظم الاحيان يشربون الماء إذا جزر الماء من آخر حدّ نهر مَعْقِلٍ لأنَّه يكون عذباً هناك ولا يختلط معه ماء البحر[1].

وأضاف ابنُ حوقل وجود أبنية على نهر معقل ومساكن حسنة عالية وقصور مشيَّدة وبساتين وضياع واسعة، وأشار الى وجود خور مهم على رُكن الأبلة في دجلة بين يدي نهرها، ومعظم السُّفْن تسلَم من سائر الأماكن في البحر حتَّى ترده فتغرق فيه بعد أن تدور على وجه الماء عدة أيام، وكان يُعرف بكرداب الأبُلة وخورها[2]

وأضاف قائلا: "... فاحتالت له بعض نساء بني العبَّاس بمراكب اشترتها فأكثرت منها وأوسقتها بالحجارة العظام وبلعتها ذلك المكان فابتلعها، وقد توافت على مقدار فانسد المكان وزال الضرر في وقتنا هذا عمَّا كان عليه، وأكثر أبنيتها بالآجر وهي مدينة عظيمة جليلة خصبة بما حوته، عامرة وافرة الأهل، حسنة النظم"[3].

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مدينة واسط احتلَّت مكانةً كبيرةً بين مدن العراق؛ لأهمِّيَّة موقعها الجغرافي ولثرواتها الطبيعية وأهمِّيَّتها سياسيّاً.

وذكر الإصطخري وابن حوقل انها تقع على جانبي دجلة، ويقسمها الى قسمين، والنصفان متقابلان بينهما جسر سفن يعبر عليه من أراد من أحد الجانبين الآخر، ويوجد في كلِّ جانب مسجد جامع، وهي مدينة محدثة في الإسلام استحدثها الحجَّاج بن يوسف الثقفي(ت ٩٥هـ/ ٧١٤م)، و تحيط بحدها الغربي البادية بعد مزارع عدة، وهي خصبة كثيرة الشجر والنخل

---

(١) الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٣٦-٢٣٨.

(٢) صورة الأرض، ص٢٣٨.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٣٨.

والزرع، وهواؤها أصح من هواء البصرة، ولا يوجد فيها بطائح، ولها أرض واسعة ونواحٍ فسيحة وعمارة متصلة[1].

أشار ابن حوقل إلى أهمِّيَّة مدينة الكوفة؛ لأهمِّيَّتها ومكانتها الدينية والسياسية، فقال عنها واصفًا إيَّاها انها تشبه مدينة البصرة، وهواؤها أصحُّ وماؤها أعذب، تقع على نهر الفُرات، وبناؤها كبناء البصرة، مصرها سَعدُ بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ/ ٦٧٤م)، وهي خطط لقبائل العرب، غير ان خراجها يختلف عن خراج البصرة لأنَّ ضياع الكوفة قديمة أزليَّة، أما ضياع البصرة فهي أحياء موات في الإسلام[2].

كما أعطى الإصطخري وابن حوقل أهمِّيَّةً كبيرةً لوصف مدينة سامراء، مع إشارتهما إلى أدق صفاتها ومظاهرها العمرانية

ذكر الإصطخري انها تقع في شرقي نهر دجلة وليس لها في الجانب الشرقي نهر جار، وتقع عمارتها وأبنيتها وأشجارها فيما يقابلها من غربي دجلة، أما هواؤها أصح من هواء بغداد وثمارها أفضل منها، وهي مدينة إسلامية بناها الخليفة المعتصم، واكمل عمارتها الخليفة المتوكل، وأصبحت مركز الخلافة العباسية لسنوات عدة [3].

بينما قال ابن حوقل عنها: "ومدينة سَرَّ من رأى في وقتنا هذا مختلفة وأعمالها وضياعها مضمحلة قد تجمع أهل كلّ ناحية منها إلى مكان لهم به مسجد جامع وحاكم وناظر في أمورهم وصاحب معونة يصرفهم في مصالحهم، وكانت مدينة استحدثها أبو إسحق المعتصم بن الرشيد طولها سبعة فراسخ على شرقي دجلة..."[4]، وأضاف ان أهلها يشربون من مياه المدينة وليس بنواحيها ماء يجري إلا أنهار القاطُول، وعمارتها ومياهها

(١) مسالك الممالك، ص٨٢؛ صورة الأرض، ص٢٣٩.

(٢) صورة الأرض، ص٢٣٩.

(٣) مسالك الممالك، ص٨٢، ٨٥-٨٦

(٤) صورة الأرض، ص٢٤٣.

وأشجارها تقع في الجانب الغربي ممتدة بأطرافها، ومن اهم النواحي التابعة لها هي مدن قائمة بذاتها كدور العربالي والكرخ ودُور الخرب وصينية سُر من رأى نفسها في وسطها، ومن أوّل ذلك إلى آخره عند دُورِ الخرب نحو مرحلة لا ينقطع بناؤها، ولها نخيل وكروم وغلات تحُمل إلى بغداد، كما ان هواؤها وثمارها افضل من بغداد[١]

وقال: "وهي الآن خراب أكثرها"[٢]. وهذا يعني انها تعرضت للخراب في المرحلة التاريخية التي عاش فيها ابن حوقل.

ثالثا: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) عدداً من مدن العراق:

وصف المقدسي عدداً من مدن العراق موضحاً أهمية موقعها الجغرافي وأهم مظاهرها الحضارية وما تتمتع به من موارد طبيعية.

أشار الى الاصول التاريخية لأسمها قائلاً: "وكلُّ رمل خالطه حصى فهو كوفة..." [٣] وهي قصبة جليلة حسنة البناء جليلة الأسواق كثيرة الخيرات، يقع جامعها في ناحية الشرق على أساطين طوال من الحجارة الموصلة، وهو بهي حسن، بينما يقع نهرها في طرفها من جهة مدينة بغداد، ولهم آبار عذبة، حولها نخيل وبساتين، ولهم حياض وقنى، ومحلة الكُناسة من قبل البادية[٤]، وأضاف قائلاً: "وهو بلد مختلٌّ قد خرب أطرافه وقد كان نظير بغداد"[٥].

ثم عرج المقدسي ووصف مدينة القادسية بأنها تُعمر أيَّام الحج، ويُحمل إليها كل خير، ولها بابان وحصن من الطين، وقد شُقَّ لهم نهر من نهر الفرات إلى حوض على باب بغداد، وفي المدينة عيون مياه عذبة، ومصدر مياه آخر يجلبونه من عند باب البادية في موسم الحج، ولها سوق واحد جامع فيه

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٤٤.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٤٤.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٦.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٦- ١١٧.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١١٧.

سورا المدينة،كما تُكثر فيها انواع مختلفة من الفواكه والاعناب، وسائر ما فيها من مدن تكون صغيرة مأهولة بالسكان[١]، وأضاف قائلاً: "وعَينُ التمر حصينة في أهلها...[٢].

كما أدرك المقدسيُّ أهمِّيَّة مدينة البصرة اقتصاديّاً وسياسيّاً، لهذا أشار إليها وإلى أهمِّ ما تتَّصفُ به قائلًا: "قصبة سرية أحدثها المسلمون أيَّام عمر، كتبَ إلى صاحبه ابنِ للمسلمين مدينة بين فارس وديار العرب وحدّ العراق، على بحر الصين، فأنفقوا على موضع البصرة ونزلها العرب، ألا تراها إلى اليوم خططًا، ثم مصرها عُتبة بن غَزوان..."[٣]

واشتُق اسمها من الحجارة السوداء، وذُكر بل ان اسمها مشتق نسبةً الى الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض، وذُكر من الأرض الغليظة[٤].

وأضاف المقدسي بأنها تشبه الطيلسان، شُقَّ إليها من نهر دجلة نهران، نهر الأبلّة ونهر معقل فإذا اجتمعا مدّا عليها وتشعَّب إليها أنهار عدة إلى ناحيتي عبادان و المذار، فطولها ممتدٌّ على النهر ودورها، في البر إلى البادية، ولها من هذا الاتجاه باب واحد وهي من النهر إلى الباب نحو ثلاثة أميال[٥]

وفيها ثلاثة جوامع أحدها في الأسواق بهي جليل عامر آهل بالسكان، لا يوجد له مثيل في العراق بُني على أساطين مبيضة، وجامع آخر قديم يقع على باب البادية، وجامع اخر يقع في طرف المدينة، ولها ثلاثة أسواق منها الكلا يقع على النهر، والسوق الكبير، وباب الجامع وكل أسواقها حسنة[٦].

---

(١) أحسن التقاسيم، ص١١٧.

(٢) المقدسي،أحسن التقاسيم، ص١١٧.

(٣) أحسن التقاسيم، ص١١٧.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٨.

(٥) أحسن التقاسيم، ص١١٧-١١٨.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٨.

وقال عنها: "والبلد أعجب إلى من بغداد، لرفقها وكثرة الصالحين بها، وكنتُ بمجلس جمع فقهاء بغداد ومشايخها فتذاكروا بغداد والبصرة فتفرَّقوا على أنَّه إذا جمعت عمارات بغداد وأُندر خرابها لم تكن أكبر من البصرة، وقد خرب طرف البصرة البرّيّ..."[١]

وأشار الى كثرة الحمامات فيها، كما يُكثر فيها السمك والتمور بها، ويُكثر فيها اللحم والخضر وألاقطان وألالبان، فضلاً عن ازدهار النشاط التجاري فيها والثقافي وتنوع العلوم، غير أنها قليلة المياه متقلبة الهواء عفنة، عجيبة الفتن، وتقع الأبلة على نهر دجلة، عند فم نهر البصرة[٢].

ولمدينة سامراء سحر خاصٌّ وأهمِّيَّة تاريخية منفردة؛ نظراً للمعالم الحضارية فيها، ولما شهدته من أحداثٍ تاريخيَّةٍ مهمَّة.

كانت مُصراً عظيماً ومستقرَّ الخلفاء، اختطها الخليفة المعتصم وزاد فيها بعده الخليفة المتوكل، وهي مدينة حسنة، سُمِّيت سُرُورَ مَن رأَى، ثم اختصر اسمها وأصبح سُرْمَرَى، ويُعد جامعها أجمل من جامع دمشق نُقشت حيطانه بالمينا، وجُعلت فيه أساطين الرخام وفُرش به، وله منارة طويلة[٣]، وأضاف قائلاً: "...وكانت بلداً جليلاً والآن قد خربت، يسير الرجل الميلين والثلاثة لا يرى عمارة، وهي من الجانب الشرقي، وفي الغربي بساتين،....، فلمَّا خربت وصارت إلى ما ذكرنا سُمِّيت ساءَ مَن رَّأى، ثمَّ اختُصرت فقيل سَامَرَّا"[٤].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٨.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١١٨.

(٣) المقدسي،أحسن التقاسيم، ص١٢٢ -١٢٣.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢٢ -١٢٣.

رابعاً: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عدداً من مدن العراق:

وصف ياقوت الحموي عدداً من مدن العراق ذاكراً الأصول التاريخية لاسمها وأهمِّ معالمها الحضارية وأهمِّيَّة موقعها الجغرافي.

أشار الى مدينة موقع مدينة سامراء والاصول التاريخية لأسمها، فهي تقع على نهر دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً، سُميت سرّ من رأى فخففها الناس وقالوا سامرّاء، وهي في الإقليم الرابع، طولها تسع وستون درجة وثلثا درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس[1].

وأضاف ياقوت الحموي في سبب بنائها قائلاً: "فلمَّا ضاقت بغداد عن عساكره وأراد استحداث مدينة كان هذا الموضع على خاطره فجاءه وبنى عنده سرّ من رأى، وقد حكي في سبب استحداثه سرّ من رأى.... في سنة ٢١٩ أمر المعتصم أبا الوزير أحمد بن خالد الكاتب بأن يأخذ مائة ألف دينار ويشتري بها بناحية سرّ من رأى موضعا يبني فيه مدينة وقال له: إني أتخوَّف أن يصيّح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلماني فإذا ابتعت لي هذا الموضع كنت فوقهم، فإن رابني رائب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم، فقال له أبو الوزير: آخذ خمسة آلاف دينار وإن احتجت إلى زيادة استزدت، قال: فأخذت خمسة آلاف دينار وقصدت الموضع فابتعت ديراً كان في الموضع من النصارى بخمسة آلاف درهم وابتعت بستاناً كان في جانبه بخمسة آلاف درهم ثمّ أحكمت الأمر فيما احتجت إلى ابتياعه بشيء يسير فانحدرت فأتيته بالصكاك، فخرج إلى الموضع في آخر سنة ٢٢٠ ونزل القاطول في المضارب ثمّ جعل يتقدّم قليلاً قليلاً وينتقل من موضع إلى موضع حتى نزل الموضع وبدأ بالبناء فيه سنة ٢٢١، وكان لما ضاقت بغداد عن عسكره وكان إذا ركب يموت جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الخيل وضغطها، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا: إمّا أن تخرج من

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٧٣.

بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك أو نحاربك، فقال: كيف تحاربونني؟ قالوا: نحاربك بسهام السحر، قال: وما سهام السحر؟ قالوا: ندعو عليك، فقال المعتصم: لا طاقة لي بذلك، وخرج من بغداد ونزل سامراء وسكنها وكان الخلفاء يسكنونها بعده إلى أن خربت إلّا يسيرا منها..." [1].

كما انه تحدث عن مدينة البصرة وذكر انهما بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب، البصرة طولها أربع وسبعون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الثالث. وسُمِّيت بصرة لغلظها وشدّتها [2].

وأضاف قائلاً: "أوَّل دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزني، وقد روي من غير هذا الوجه أنّ الله عزّ وجل، لما أظفر سعد بن أبي وقّاص بأرض الحيرة وما قاربها كتب إليه عمر بن الخطاب أن ابعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكانا وقد شهد بدراً، وكانت الأبلّة يومئذ تسمّى أرض الهند، فلينزلها ويجعلها قيرواناً للمسلمين ولا يجعل بيني وبينهم بحراً، فخرج عتبة من الحيرة في ثمانمائة رجل حتى نزل موضع البصرة، فلما افتتح الأبلّة ضرب قيروانه وضرب للمسلمين أخبيتهم، وكانت خيمة عتبة من أكسية، ورماه عمر بالرجال فلما كثروا بنى رهط منهم فيها سبع دساكر من لبن، منها في الخريبة اثنتان وفي الزابوقة واحدة وفي بني تميم اثنتان، وكان سعد بن أبي وقاص يكاتب عتبة بأمره ونهيه، فأنف عتبة من ذلك واستأذن عمر في الشخوص إليه، فأذن له، فاستخلف مجاشع بن مسعود السّلمي على جنده..." [3].

---

(١) معجم البلدان، ج٣، ص ١٧٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٣٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٢ -١٣٣.

الفصل الخامس
رحلتي ابن جبير وابن بطوطة إلى مدن العراق
(القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)

* أوَّلاً: رحلة ابن جبير إلى مدن العراق.

* ثانياً: رحلة ابن بطوطة إلى مدن العراق.

الفصل الخامس

رحلتي ابن جبير وابن بطوطة إلى مدن العراق

(القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)

أوَّلاً: رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) إلى مدن العراق:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ ابن جبير أشار إلى معلومات مهمَّة عن عددٍ من مدن العراق الشمالية والوسطى والجنوبية، واصفاً مشاهداته لها بدقَّة.

تُعدُّ رحلة ابن جبير إلى مدينة الكوفة مهمَّة جداً لدقَّة مشاهداته لها، وللمعلومات المهمَّة التي أشار إليها.

وصفها بأنها مدينة كبيرة عتيقة البناء، بُنيت من الآجر، ولا يوجد لها سور. والجامع العتيق آخرها ممَّا يلي شرقي المدينة، ولا توجد عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان. أُقيمت هذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فلا يوجد في أي مكان أخر مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفاً. وبهذا الجامع المكرم آثار كريمة: فمنها بيت بإزاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال إنه كان مصلى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وعليه ستر أسود صوناً له، و الخطيب يرتدي ثياب سوداء عند الخطبة. والناس يزدحمون لزيارة هذا المكان المبارك للصلاة فيه[1].

---

(١) ابن جبير، الرحلة ص١٦٥

وأضاف قائلاً: "وعلى مقربة منه، مما يلي الجانب الأيمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير، وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)،... وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بآخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضا بأعواد الساج، هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح (عليه السلام)، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه... ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال إنه منشأ السفينة. ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب (عليه السلام) والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت يقال إنه كان بيت ابنة نوح (عليه السلام). وهذه الآثار الكريمة تلقيناها من السنة أشياخ من أهل البلد فأثبتناها حسبما نقلوها إلينا، والله أعلم بصحة ذلك كله. وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد إليه في قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب (عليه السلام). وفي جوفي الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة أحواض كبار"[1].

وبعد زيارته لمدينة الكوفة توجَّه ابن جبير إلى مدينة الحلَّة واصفاً إيَّاها وأبرز ما تنماز به ووصفها بأنها مدينة كبيرة، قديمة، مستطيلة الشكل، لم يبقَ من سورها إلا حلق من جدار ترابي مستدير حوله. تقع على نهر الفرات، يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها[2].

ولهذه المدينة أسواق جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية، وهي كثيرة العمارة، آهلة بالسكان، لها حدائق من النخيل متصلة بعضها مع بعض داخلاً وخارجاُ، فديارها بين حدائق النخيل، ولها جسر عظيم معقود على مراكب كبيرة متصلة من الشط إلى الشط تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة عظماً وحجماً ترتبط إلى خشب مثبتة في كلا الشطين، تدل على عظمة قدرتهم ؛ أمر الخليفة بعقده على الفرات اهتماماً

(١) ابن جبير، الرحلة ص١٦٥-١٦٦

(٢) الرحلة ص١٦٦.

بالحجاج واعتناءً بسبيله، وكانوا سابقاً يعبرون في المراكب، فوجدوا هذا الجسر الذي بناه الخليفة لهم، ولم يكن عند توجههم إلى مكة المكرمة[١].

وذكر ابن جبير انه عبر هذا الجسر ظهر يوم الأحد ونزل في نهر الفرات على مقدار فرسخ من البلد، وهذا النهر مث اسمه فرات، هو من أعذب المياه وأخفها، وهو نهر كبير زخار، تصعد فيه السفن وتنحدر[٢].

ووصف ابن جبير الطريق من الحلة إلى بغداد بأنه من أحسن الطرق وأجملها، في بسائط من الأرض وفيه أبنية عدة، تتصل بها القرى يميناً وشمالًا، ويشق هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها[٣]،

وبعد عبوره جسراً على نهر يُسمَّى النيل، وهو فرع يتفرع من نهر الفرات، وهو مزدحم، فغرق كثير من الناس والدواب في الماء،وذكر انه عبر فيما بعد بسلام، ومن مدينة الحلة يتوجه الحجاج فمنهم المتقدِّم، والمتأخِّر، لا يعرج المستعجل على المتعذر، ولا المتقدم على المتأخر، وكانو ينزلون في هذا الموضع للراحة في أي وقت[٤].

وأشار ابن جبير إلى كثرة القناطر فيها وذكر انها واحدة من الاسباب التي دفعته لمغادرتها ومن كونها تعترض طريقهم إلى بغداد، فلا تكاد تمشي ميلاً إلَّا وتجد قنطرة على نهر متفرِّع من الفرات، فتلك الطريق أكثر الطرق سواقي وقناطر، وعلى أكثرها خيام فيها رجال يحرسون الطريق بأمر من الخليفة ولتوفير الحماية للحجاج دون اعتراض منهم. فلو زاحم ذلك الناس تلك القناطر دفعة واحدة لما تمكنوا من عبورها ولتراكموا وقوعاً بعضٌ على بعض[٥].

---

(١) ابن جبير، الرحلة ص١٦٦-١٦٧.

(٢) الرحلة ص ١٦٧.

(٣) الرحلة ص ١٦٧.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٧.

(٥) الرحلة، ص١٦٨.

وأشار إلى أهمِّ قناطرها وقراها منها استقراره في قرية تُعرف بالقنطرة خصبة جداً، كبيرة المساحة، فيها عدد من جداول المياه، وارفة الظلال بأشجار الفواكه، وتُعد من أحسن القرى وأجملها، وبها قنطرة على فرع من فروع الفرات كبيرة، يمكن الصعود والنزول منها، عُرفت القرية بها، وتُعرف أيضاً بحصن بشير. كما انه واكب حصاد الشعير بهذه الجهات وفي هذا الوقت من السنة[1].

كما تحدث عن مغادرته لهذه القرية سحر يوم الثلاثاء الثاني لصفر، ونزل بقرية تُعرف بالفراش، كثيرة العمارة، يخترقها الماء، وحولها بساط أخضر جميل المنظر، ومعظم القرى في هذه الطريق الممتد من الحلة إلى بغداد على هذه الصفة فضلاً عن جمالها واتساعها. وفيها خانٌ كبير يحيط به جدار عال له شرفات صغيرة الحجم. و سرعان ما غادرها ونزل مساءً في قرية تُعرف بزريران، انمازت بحسنها، وجمالها، وأوسعها مساحةً واختطاطاً، وفيها الكثير من البساتين والرياحين وحدائق النخيل، وفيها سوق كبير[2].

وأضاف قائلاً: ".. وحسبك من شرف موضعها أنَّ دجلة تسقي شرقيها، ولا فرات يسقي غربيها، وهي كالعروس بينهما، والبسائط والقرى والمزارع متصلة بين هذين النهرين الشريفين المباركين. ومن شرف هذه القريبة أيضاً أن بإزائها، لجهة الشرق منها، إيوان كسرى وأمامها بيسير مدائنه. وهذا الإيوان بناء عال في الهواء، شديد البياض، لم يبق من قصوره إلا البعض، فعايناها على مقدار الميل سامية مشرفة مشرقة، وأما المدائن فخراب، اجتزنا عليها سحر يوم الأربعاء الثالث لصفر فعاينا من طولها واتساعها مرأى عجيبا. ومن فضائل هذه القرية أيضاً أن بالشرق منها بمقدار نصف فرسخ مشهد سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، فما اختصت ترتبتها بهذا الدفين المبارك (رضي الله عنه)، غلا لفضل تربتها. والقرية على شط دجلة، وهي تعترض

(١) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٨.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٩.

بينها وبين المشهد الكريم المذكور، وكنَّا سمعنا أنَّ هواء بغداد ينبت السرور في القلب، ويبعث النفس دائما على الانبساط والأنس،...، حتى حللنا بهذا الموضع المذكور، وهو على مرحلة منها، فلمَّا نفحتنا نوافح هوائها، ونقعنا الغلة ببرد مائها، أحسسنا من نفوسنا، على حال وحشة الاغتراب، دواعي من الإطراب، واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالإياب، وهبت بنا محركات من الإطراب، أذكرتنا معاهد الأحباب، في ريعان الشباب. هذا للغريب النازح الوطن، فكيف للوافد فيها على أهلٍ وسكن!"[1].

ومن المعلومات المهمَّة التي أشار إليها ابن جبير متحدِّثاً عن أهمِّ أمرائها قائلاً: "والأمير طشتكين... يقيم بالحلَّة ثلاثة أيَّام إلى أن يتقدَّم جميع الحاج ثم يتوجَّه إلى حضرة خليفته. وهذه الحلَّة المذكورة طاعة بيده للخليفة. وسيرة هذا الأمير بالرفق بالحاج والاحتياط عليهم والاحتراس لمقدِّمتهم وساقتهم وضم نشر ميمنتهم وميسرتهم سيرة محمودة، وطريقته في الحزم وحسن النظر طريقة سديدة، وهو من التواضع ولين الجانب وقرب المكان على وتيرة سعيدة، نفعه الله ونفع المسلمين به"[2].

وعرج ابن جبير بعد ذلك واصفاً رحلته إلى المدائن وأهمَّ مشاهداته فيها قائلاً: "وفي سحر يوم الأربعاء المذكور رحلنا من القرية المذكورة واجتزنا على مدائن كسرى حسبما ذكرناه وانتهينا إلى صرصر، وهي أخت زريران المذكورة حسناً أو قريب منها. ويمرُّ بجانبها القبلي نهر كبير متفرع من الفرات عليه جسر معقود على مراكب، تحفُّ بها من الشط إلى الشط سلاسل حديد عظام، على الصفة التي ذكرناها في جسر الحلة، فعبرناه وأجزنا القرية ونزلنا قائلين، وبيننا وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ..."[3].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٩.

(٢) الرحلة، ص١٦٨.

(٣) الرحلة، ص١٦٩.

وأضاف الى وجود سوق كبير ومسجد جامع كبير جديد فيها. وتُعد من القرى التي تملأ النفوس بهجةً وحسناً[١]. وتحدث عن نهري دجلة والفرات، وملتقاهما ما بين واسط والبصرة، ومنها انصبابهما إلى البحر، ومجراهما من الشمال إلى الجنوب[٢]، ثم أشار الى رحليه من ذلك الموضع قبل الظهر من يوم الأربعاء متوجها الى مدينة بغداد ووصلها قبل العصر، واصفا الطريق اليها بكثرة البساتين[٣].

اختار ابن جبير هذه المرَّة الترحال إلى مدينةٍ مهمَّةٍ وهي مدينة تكريت ومدن مجاورة لها فوصفها بدقَّة بأنها مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، كبيرة المساحة، كثيرة الأسواق و المساجد، آهلة بالسكان، أهلها أحسن أخلاقاً وقسطاً في الموازين من أهل بغداد، ودجلة منها في جوفيها، ولها قلعة حصينة تقع على الشط وهي قصبتها المنيعة، ويحيط بها سور أثر الوهن فيه. وهي من المدن القديمة[٤].

(١) ابن جبير،الرحلة، ص١٦٩.

(٢) ابن جبير،الرحلة، ص١٦٩.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٩.

(٤) الرحلة، ص١٨٢.

ثانياً: رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) إلى مدن العراق:

زار الرحَّالة ابن بطوطة عدَّة مدن عراقية، وكانت مدينتا النجف وكربلاء المقدستين في مقدِّمتها، دون مشاهداته عنها بكلِّ دقَّة، موضِّحاً عن طريقها ما شهدته هاتان المدينتان من ازدهار عمراني ملموس.

ذكر ابن بطوطة أنَّه توجَّه إلى النجف الأشرف اثناء زيارته لمدن العراق، وقال عنها انها مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة، وتُعد من أفضل مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناءً، ولها أسواق حسنة نظيفة[١]. وأضاف قائلاً: " دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقَّالين والطبَّاخين والخبَّازين، ثم سوق الفاكهة، ثم سوق الخيَّاطين... ثم سوق العطَّارين، ثم الحضرة حيث... قبر علي "عليه السلام". وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني... لونه أشرق ونقشه أحسن"[٢].

ثم وصف ابن بطوطة أهلها بأن معظمهم تجَّار يسافرون في الأقطار، وهم أهل شجاعة وكرم، لا يضر أحدهم جاره، وتحمد صحبتهم في الأسفار[٣].

---

(١) الرحلة، ص ١٩٣.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٩٣.

(٣) الرحلة، ص ١٩٥.

ذكر ابن بطوطة وجود عددٍ كبيرٍ من المدارس والزوايا[1] والخوانق[2] المعمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني ولونه مشرق ويمتاز بجمال نقوشه، تقع معظمها بجوار ضريح الإمام علي – عليه السلام - في النجف الأشرف[3].

وأشار ابن بطوطة إلى أهمّ المدارس فيها فعند الدخول من باب الحضرة هناك مدرسة كبيرة ومهمة يسكنها الطلبة والصوفية، ولكلِّ زائر فيها ضيافة ثلاثة أيَّام من الخبز واللحم والتمر، مرتين في اليوم [4].

وأوضح ابن بطوطة أهمَّ الملامح العمرانية للضريح المقدَّس للإمام عليٍّ - عليه السلام - قائلاً: "ومن تلك المدرسة يدخل باب القبة، وعلى بابها الحجَّاب والنقباء... فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم، وذلك

---

(١) الزوايا: الزي مصدر زوى الشيء يزويه زيًّا وزُيًّا فانزوى نهاه فتنحى، والزاوية واحدة الزوايا، وزوايا البيت ركنه، وتزوى صار فيها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، مادة زوى، فصل الزاء، حرف الواو والياء، ص٨٣- ٨٤؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، مادة زوى، فصل الراء، باب الواو والياء، ص٣٣٩.

(٢) الخوانق: جمع خانقاه مفردها - خانقاه –، ويقال – خان كاه –، وجمعها – خوانق –، ويقال - خوانك – وهي كلمة فارسية الأصل، و- الخان – يعني البيت أو الموضع، و- كاه – تعني الضآلة والضعف ومعناه بيت، أو دار التعبد والاستغفار، أو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بضآلته أمام الخالق، وهي مكان يسكنه أهل الخير والصوفية. لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٣١٣؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج١، ص٤١٥؛ طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، ص١١٠؛ معروف، ناجي، مدارس قبل النظامية، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص٨٢؛ ثويني، علي، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، العراق، بيت الحكمة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٩٠، ٢٩١.

(٣) الرحلة، ص ١٩٣.

(٤) الرحلة، ص ١٩٣.

على قدر الزائر، فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له، ويقولون: "عن أمركم يا أمير المؤمنين، هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العلية، فإن أذنتم وإلَّا رجع، وإن لم يكن أهلًا لذلك فأنتم أهل المكارم والستر". ثم يأمرونه بتقبيل العتبة، وهي من فضة... ثم يدخل القبة، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب، عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضلة. قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة... وللقبة باب آخر عتبته أيضًا من الفضة، وعليه ستور الحرير الملون، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير... "[1].

أكَّد ابن بطوطة أنَّه لا يوجد في مدينة النجف والٍ، إنَّما يتولَّى إدارتها نقيب الأشراف، وهو مقدَّمٌ من حاكم العراق، ومكانته مهمة وعظيمة ومنزلته رفيعة، وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله أعلام خاصة به كما تُضرب الطبول عند بابه مساءً وصباحاً، وإليه حكم هذه المدينة، ولا والي بها سواه، ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره، وكان النقيب في عهد دخول ابن بطوطة إليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوي،وكان قبله عدد من النقباء ابرزهم جلال الدين الفقيه، قوام الدين بن طاوس، ناصر الدين مطهر بن الشريف شمس الدين محمد الاوهري وغيرهم [2].

أشار ابن بطوطة إلى أهمِّ الإجراءات التي كانت متَّبعةً بعد وفاة أيِّ نقيب من نقباء الأشراف وتعيين البديل عنه؛ إذ ذكر أنَّه بعد وفاة نقيب الأشراف قوام الدين بن طاوس اتَّفقَ أهلُ العراق على تولية أبي غرة نقابة الأشراف،

---

(١) الرحلة، ص ١٩٣-١٩٥.

(٢)الرحلة،ص١٩٥- ١٩٦.

وكتبوا بذلك إلى السلطان الايلخان أبي سعيد بهادر، فأمضاه وأصدرَ الأوامر بتوليته نقابة الأشراف، وبعث له الخلعة والأعلام والطبول[1].

وأكَّد ابن بطوطة أنَّ مدينة النجف حينما زارها كانت غنيَّةً اقتصاديّاً؛ إذ أوضح أنَّ خزانة الروضة كانت عظيمةً، وفيها الكثير من الأموال ما لا يمكن عده[2].

أمَّا عند زيارة ابن بطوطة مدينةَ كربلاء اثناء رحلته إليها قال: "سافرنا من الحلَّة إلى كربلاء مشهد الحسين "عليه السلام" والروضة المقدَّسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجَّاب... لا يدخل أحد عن أذنهم، فيُقبِّل العتبة الشريفة وهي من الفضة، وعلى الضريح المقدَّس منادي الذهب والفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير"[3].

وهذا يؤكِّد لنا ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في كربلاء عن طريق الاهتمام ببناء المدارس والزوايا.

زار ابن بطوطة مدينة البصرة، وأشار إلى أهمِّ مشاهداته فيها قائلاً: "ولمَّا تحصَّلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام سافر الركب إلى بغداد، وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلَّا في صحبتهم. فاكتريت جملاً على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي، وخرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا الخورنق، موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات. ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعًا يُعرف بقائم الواثق، وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبقَ منه إلَّا

(١) الرحلة، ص ١٩٦.

(٢) الرحلة، ص ١٩٥.

(٣) الرحلة، ص ٢٣٣.

صومعته. ثمَّ رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات، بالموضع المعروف بالعذار، وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها أعراب يُعرفون بالمعادي. وهم قطَّاع الطريق، رافضيَّة المذهب، خرجوا على جماعة من الفقراء تأخَّروا عن رفقتنا فسلبوهم حتى النعال والكشاكل. وهم يتحصَّنون بتلك الغابة، ويمتنعون بها ممَّن يريدهم، والسباع بها كثيرة"[1].

وبعد خروجه من البصرة اتَّجه راحلاً إلى مدينة واسط واصفاً إيَّاها وأهلها بدقَّة قائلاً: "ورحلنا مع هذا العذار ثلاث مراحل. ثم وصلنا مدينة واسط[2]، وهي حسنة الأقطار، كثيرة البساتين والأشجار. وأهلها من خيار أهل العراق، معظمهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة، وإليهم يأتي أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك، وكانت القافلة التي وصل فيها ابن بطوطة عدد من الزوار أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ[3].

كما أشار الى عظمة مدرستها فيها ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن الكريم، عمَّرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي، وهو من كبار أهلها وفقهائها، ويعطي لكلِّ متعلِّم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته كلَّ يوم، ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم في المدرسة، وقد استضاف ابن بطوطة وزوده بالتمر وعدد من الدراهم[4].

وأضاف قائلاً: "ولمَّا نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثة بخارجها للمتاجرة، فسنح لي زيارة قبر الولي أبي العبَّاس أحمد الرفاعي، وهو بقرية تُعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط. فطلبت من الشيخ تقي الدين أن

---

(١) الرحلة، ص١٩٩ -٢٠٠.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٠٠.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٠٠.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٠٠.

يبعث معي من يوصلني غليها، فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد. وخرجت ظهرًا، فبتُّ تلك الليلة بحوش بني أسد"[1].

ووصف ابن بطوطة رباطاً مهمّاً في مدينة واسط وأبرز النشاطات فيه قائلاً: "ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق، وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء. وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العبَّاس الرفاعي الذي قصدنا زيارته، وقدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارته قبر جده، وإليه انتهت الشياخة بالرواق. ولمَّا انقضت صلاة العصر ضُربت الطبول والدفوف،.... ثم صلُّوا المغرب، وقدموا السماط، وهو خبز الأرز، والسمك واللبن والتمر، تأكل الناس. ثم صلُّوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذِّكر، والشيخ أحمد قاعد على سجادة جدِّه المذكور. ثم أخذوا في السماع، وقد أعدوا أحمالاً من الحطب فأججوها نارًا، ودلوا في وسطها يرقصون، ومنهم من أكلها بقمة، حتى أطفؤوها جميعاً، وهذا دأبهم. وهذه الطائفة الأحمدية مخصوصون بهذا، وفيهم من يأخذ الحيَّة العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعه"[2].

واصل ابن بطوطة رحلته من واسط إلى البصرة قائلاً: "ولمَّا حصلت لي زيارة الشيخ أبي العبَّاس الرفاعي نفع الله به عدت إلى مدينة واسط، فوجدت الرفقة التي كمنت فيها قد رحلت، فلحقتها في الطريق، ونزلنا ماء يُعرف بالهضيب. ثم رحلنا بوادي الكراع، وليس به ماء. ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يُعرف بالمشيرب. ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة. ثم رحلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة، فنزلنا بها رباط مالك بن دينار. وكنت رأيت عند قدومي عليها، على نحو ميلين منها، بناءً عالياً مثل الحصن، فسألت عنه، فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب (عليه السلام). وكانت البصرة من اتساع الخطَّة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها، وبينه الآن وبينها

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٠٠.

(٢) الرحلة، ص٢٠٠ -٢٠١.

ميلان، وكذلك بينه وبين العراق الشهيرة الذكر في الآفاق، مفسحة الأرجاء، المونقة الأفناء، ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة، توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت مجمع البحرين الأجاج والعذب...."[1]

كما أشار الى كثرة النخيل و التمور فيها، فيُباع التمر في سوقها بحساب أربعة عشر رطلاً عراقية بدرهم، ودرهمهم ثلث النقرة. كما بعث له قاضيها حجَّة الدين بقوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف، فباعها ابن بطوطة بتسعة دراهم أخذ الحمَّال منه ثلثها عن أجرة حملها من المنزل إلى السوق.كما ويُصنع بها من التمر عسل يُسمَّى السيلان، طعمه لذيذ[2].

وفي مدينة البصرة ثلاث محلات: إحداها محلة هذيل، وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير، من الكرماء الفضلاء، الذي استضاف ابن بطوطة وبعث له بثياب ودراهم. والمحلة الثانية محلة بني حرام، كبيرها السيد الشريف مجد الدين موسى الحسني، المشهور بالكرم والفضل، الذي استضاف ابن بطوطة أيضاً وبعث له التمر والسيلان والدراهم. والمحلَّة الثالثة محلة العجم، كبيرها جمال الدين ابن اللوكي [3].

وصف ابن بطوطة أهل البصرة حامداً إيَّاهم فلهم مكارم أخلاق وإيناس للغريب والقيام بحقِّه وحسن ضيافته، فلا يستوحش بينهم الغرباء. وهم يصلُّون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ثمَّ يُغلق فلا يأتونه إلَّا في الجمعة التالية[4].

ووصف مسجد الامام علي (عليه السلام) قائلاً:" وهذا المسجد من أحسن المساجد، وصحنه متناهي الانفساح، مفروش بالحصباء الحمراء التي يُؤتى بها من وادي السباع... شهدت مرَّةً بهذا المسجد صلاة الجمعة، فلمَّا

---

(١) الرحلة ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة ص٢٠٢.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة ص٢٠٢.

(٤) الرحلة، ص٢٠٢.

قام الخطيب إلى الخطبة وسردها لحن فيها لحنًا كثيرًا جليًّا، فعجبتُ من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجَّة الدين، فقال لي: "إنَّ هذا البلد لم يبقَ به من يعرف شيئاً من علم النحو". وهذه عبرة لمن تفكَّر فيها، سبحان مغيِّر الأشياء ومقلِّب الأمور. وهذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النحو، وفيها أصله وفرعه، ومن أهلها إمامه الذي لا ينكر سبقه، ولا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دؤوبه عليها"[1].

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٠٢-٢٠٣.

الفصل السادس

المدن المقدَّسة في العراق (النجف وكربلاء) في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م)

(دراسة في أحوالهما العامَّة)

* أوَّلاً: نبذة تاريخية عن إدارة العراق في العهد الإيلخاني (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م).

* ثانياً: علاء الدين الجويني (ت ٦٨٣هـ/ ١٢٦٤م) ودوره الإداري والعمراني في العراق.

* ثالثاً: الإصلاحات العمرانية في النجف وكربلاء في عهد الإيلخان محمود غازان ومحمَّد خدابندة (٦٩٤-٧١٦هـ/١٢٩٥-١٣١٦م).

* رابعاً: أهم مراكز سكِّ النقود في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م).

* خامساً: الكوارث الطبيعية في النجف وكربلاء ومدن الأعمال الواسطية في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م).

الفصل السادس

المدن المقدَّسة في العراق (النجف وكربلاء) في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م) -دراسة في أحوالهما العامَّة-

أوَّلاً: نبذة تاريخية عن إدارة العراق في العهد الإيلخاني (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م):

قُسِّم العراق في عهد المغول الإيلخان (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م) على عدَّة ولاياتٍ ليسهل على الموظَّفين إدارتها.

فوَّضَ هولاكو (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م) أمر العراق إلى عددٍ من الإداريين في العراق، ومنهم علي بهادر الخراساني الشحنة الجديد، لهذا قسَّموه على مناطق إدارية متعدِّدة، منها الأعمال الشرقية وهي الخالص، وطريق خراسان والبندنيجيون، وأعمال دجيل والمستنصري، والأعمال الفراتية والأعمال الحلية والكوفية، والأعمال الواسطة والبصرية. ولم تكن هذه الأقسام الإدارية متميزةً والثابتةً، بل كان الإيلخانات ونوَّابهم ومنهم صاحب الديوان في بغداد يقسِّمون الواحدة منها على أكثر من منطقة إدارية، أو يضيفون بعضها إلى بعض عند تعيينهم لحكَّامها[1].

---

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥٦-٧٣٦ هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٥م)، الفتح، الإدارة، الأحوال الاقتصادية، الأحوال الاجتماعية، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٨، ص ٧٩؛ محمد، إيناس حسني، المغول وغزو الدولة الإسلامية، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

في حين ذُكر أنَّ العراق قُسِّم على ثلاثة أقسام، أهمُّها إقليم الجبال ويشتمل على شهرزور، وإقليم الجزيرة الفراتية ويتضمَّن ماردين والموصل وسنجار والعمادية وأربيل، وإقليم العراق ومركزه بغداد، وهو القسم الأهمُّ ويشتمل على المنطقة الممتدَّة من الزاب الأعلى إلى عبادان طولاً، وبين القادسية وحلوان عرضاً. وقد قُسِّم الأخير على ستِّ مناطق رئيسة أُطلق عليها أعمال، وهي: الأعمال الشرقية، وأعمال الدجيل والمستنصري، والأعمال الفراتية، والأعمال الحلية والكوفية، والأعمال الواسطية والبصرية[1].

إذ كان في العصر العبَّاسي شحنة لكل منطقة من مناطق العراق ومدنه الكبيرة، أي مدير شرطة خاص بها مثل شحنة البلاد الحلية، وشحنة واسط، وشحنة البصرة، وقد استمرَّ العمل بها في عهد المغول الإيلخانيين[2].

وكانت هناك وظيفتان إداريَّتان مهمَّتان استمرَّتا من العصر العبَّاسي إلى العهد الإيلخاني، وهما الصدر والناظر، وأهمِّيَّتها تتَّضح خارج بغداد، أي في المناطق التي تنقسم إليها البلاد إداريًّا، فالصدر كان يُطلق في العصر العبَّاسي الأخير على رئيس أحد الدواوين الكبيرة التي تتكوَّن منها الحكومة المركزية، مثل صدر ديوان الزمام، وصدر المخزن، وصدر الوقوف، وغيرها، وعلى رئيس الوحدات الإدارية التي تنقسم إليها البلاد، مثل صدر الأعمال الفراتية وصدر الأعمال الحلِّيَّة[3].

أمَّا في العصر الإيلخاني اقتصرت على رئيس إحدى الوحدات الإدارية التي أصبح العراق ينقسم إليها، وأصبح صاحب هذه الوظيفة يُلقَّب بلقب ملك باستثناء الأوقاف التي ظلَّت تحت إدارة صدر الوقوف، وأصبح الصدر رئيس الوحدة الإدارية يتمتَّع باستقلالٍ ذاتيٍّ في منطقته بدرجة أوسع ممَّا

---

(١) رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في عهد المغول، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ١٩٧٩، ع١١، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٤.

(٣) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٤.

كانت عليه في العصر العبَّاسي، ويُشرف على إدارة القوَّات المسلَّحة القائمة على حماية الأمن في منطقته[١].

أمَّا الوظيفة الثانية والمهمَّة؛ فهي الناظر، فكان ينظر في الأموال ويتصرَّف بها ويرفع إليه حسابها، فينظر فيه ويتأمَّله فيمضي به ويرد ما يرد، فصاحب هذه الوظيفة مهمَّته ماليَّة بالدرجة الأولى، لكنَّه في الوقت نفسه كان يشرف على أمورٍ إداريةٍ أيضاً، ويقوم بالواجبات نفسها التي يقوم بها الصدر[٢].

إنَّ هذا الاضطراب في إدارة العراق في عهد المغول الإيلخانيين يعود إلى أنَّها كانت استمراراً في كثيرٍ من مظاهرها للإدارة العبَّاسية، ولا سيَّما في عصورها المتأخِّرة، حينما لم يكن العراق يُقسَّم على مناطق إدارية ثابتة، ان تولي المناصب في العهد الإيلخاني لم يكن يلتزم نظاماً مستقرّاً، بل كان عُرضة للأهواء الشخصية[٣].

كانت أداة الدولة الإيلخانية المغولية لا مركزية، وكان حاكم العراق مستقلّاً في إدارة شؤونه مقابل تقديمه للأموال اللازمة لخزينة الدولة ولسدِّ احتياجات الجند، غير أنَّ هذه اللا مركزية لم تكن مثاليَّةً أو كاملةً؛ لأنَّ الإيلخان كان يزور العراق ليطَّلع على أموره بنفسه ويقضي فصل الشتاء في ربوعه في بعض الأحيان، وكان يُرسل إليه مشرفاً يستقضي شؤونه من كثب ويرفع إليه تقريراً عن ذلك، فضلاً عن أنَّ حكَّام العراق كانوا يتآمرون على بعضهم بعضًا عند الإيلخان أو أمرائه أو وزرائه، مِمَّا يستدعي هذا تدخُّل الإيلخان في شؤونهم[٤].

ففي سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م توجَّه صاحب ديوان العراق فخر الدين بن الدامغاني إلى هولاكو ومعه صدر أعمال العراق، فأراد هولاكو أن يفوِّض إليه

---

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٤.

(٢) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٤.

(٣) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٩.

(٤) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٧٩، ٨٠.

أمر العراق، غير أنَّ أحد الصدور وهو نجم الدين أحمدي بن عمران صدر الأعمال الشرقية وشى به عند هولاكو، وبأنَّه أطلق أحد أقرباء الخليفة العبَّاسي المستعصم بالله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) من السجن، فقبض عليه وبقي فيه حتَّى وفاته[١].

قصد سراج الدين بن البجلي صدر واسط والبصرة هولاكو في سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، فوشى به أنَّه أخَّرَ خراجها وأهملَ مصالحها فأمر بقتله[٢].

كان نوَّاب الإيلخان يتمتَّعون بالنسبة إلى مرؤوسيهم ورعايهم بالسلطة المطلقة نفسها، وكانت غير محدودة، فقد حضر صاحب الديوان شمس الدين الجويني (ت ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م) إلى بغداد سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م للتحقيق في التهم التي وجَّهها الحكَّام إلى أخيه صاحب ديوان بغداد عطا ملك الجويني (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، فأمر بالقبض على صالح بن الهذيل ملك واسط أي حاكمها، وطالبه بالمال، وعذَّبه ثم أمر أن يطيف به في واسط، ثمَّ عزله عن الأعمال الواسطية[٣].

توجَّه في سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م مهذَّب الدولة أحد مساعدي صاحب الديوان إلى واسط، فقبض على حاكمها نور الدين عبد الرحمن وطوَّقه بالحديد وأرسله إلى بغداد وأُلقيَ في السجن حتَّى يصدر الأمر بقتله، غير أنَّ الأخبار وصلت إلى بغداد بوفاة الإيلخان أرغون (٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م) ومقتل وزيره سعد الدولة، وعيَّنَ الأمراء كاتب العراق جمال الدين الدستجرداني بمنصب صدر ديوان بغداد، فاتَّفق هذا مع الرسل وشحنة بغداد

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٨٠؛ محمد، إيناس حسني، المغول، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٨١.

(٣) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٨٢.

وأطلقوا سراح نور الدين عبد الرحمن من السجن وأعادوه إلى صدرية واسط، وأمروه بالقبض على مهذَّب الدولة وإرساله إلى بغداد[1].

وفي العهد الإيلخاني أُلغيت جميع الدواوين التي كانت موجودة في القصر العبَّاسي، واستُعيض عنها بديوان واحد واسع وهو ديوان الزمام الذي كان ديوان الدواوين في القصر العبَّاسي المتأخِّر، وكانت مهمَّته الإشراف على شؤون الدولة المالية، وكان صدره - وكان يُسمَّى أحيانًا صاحب الديوان - أقرب الصدور إلى الخليفة[2].

تولَّى علاء الدين الجويني سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م صدرية هذا الديوان، فصار صاحب الديوان الحاكم الأعلى في العراق وبأمرٍ من هولاكو[3].

ثانياً: علاء الدين الجويني (ت ٦٨٣ هـ/ ١٢٦٤م) ودوره الإداري والعمراني في العراق:

على الرغم مِمَّا تعرَّضت له مدينة بغداد من دمارٍ وتخريبٍ اثناء الغزو المغولي لها سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م فإنَّ عدداً من المدن العراقية لم تتعرَّض للتخريب، ومنها كربلاء.

إذ ذكر أنَّ السبب وراء سلامة الكوفة والحلَّة والمشهدين الشريفين أنَّ مجد الدين محمَّد بن طاووس خرج إلى هولاكو وصنَّف له كتاب (بشارة المصطفى) وسلَّم له الحلَّة والمشهدين الشريفين، فولَّاه النقابة على المنطقة الفراتية[4].

---

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٨٢.

(٢) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٦٧.

(٣) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٦٧.

(٤) الموسوي، السيد تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ، مؤسَّسة الفقه للطباعة والنشر، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢١ هـ، ص ١٥٦، ١٥٧.

ذُكر بهذا الصدد: "وفي هذه الظروف ورد كتاب إلى هولاكو من سادات الحلَّة مجد الدين بن حسن بن طاووس وسديد الدين يوسف بن المطهر وشمس الدين محمَّد بن المعز يعرضون عليه طاعتهم وانقيادهم للإيلخان الذي رفع عنهم الجور... فكان هذا مبعثاً لابتهاج هولاكو وأخبرهم بأنَّه يرغب في رؤيتهم ومصافحتهم... "[1].

ومن الإنجازات العمرانية والاقتصادية في الوقت نفسه التي قام بها حكَّام العراق في عهد دولة المغول الإيلخانيين في الأعمال الواسطية والكوفية التي تشمل كربلاء؛ هي حفر الأنهار والاهتمام بمشاريع الريّ.

بذل علاء الدين الجويني جهده في بناء القرى وتحويل الأراضي البور إلى مزارع واسعة، مع الاهتمام بإنشاء قوَّات الري؛ إذ أمر بحفر نهرٍ فرعيٍّ من الفرات يبدأ من مدينة الأنبار غربي بغداد وينتهي إلى الكوفة والنجف، وقد بلغت قيمة ما أنفقه في حفره مئة ألف دينار من الذهب، واستحدثَ ١٥٠ قريةً على امتداد شاطئ ذلك النهر[2]، والظاهر أنَّ هذا النهر هو المعروف اليوم باسم (كري سعده)[3].

---

(١) أفندي، نظمي زادة مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١، ص ١٤٥ وص ١٤٦.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣، ج٥١، ص ٨١؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣؛ أفندي، نظمي زادة مرتضي، كلشن خلفا، ص ١٥٣؛ القزاز، د. محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٢٢٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين حكومة المغول ٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٨م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، ص ٣١٠.

(٣) العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٣١٠.

وبفضل هذا النهر تحوَّلت المنطقة الواقعة بين الأنبار والكوفة إلى منطقة تكسوها الخضرة وتتعانق فيها الأشجار وأوجد موارد للدولة[1].

أمر صاحب الديوان علاء الدين الجويني في سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سمَّاه المأمن، وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحمَّاماً وسوقاً، فانتقل إليه عددٌ كبير من الناس، وكان التجَّار المتجهون إلى البصرة والخارجون منها يحملون متاعهم إليه، فانتفعوا منه وآمنوا على أموالهم، ومِمَّا زاد من أهمِّيَّته بناءُ ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسةً فيه[2].

واهتمَّ الجويني بإنشاء الربط والأنفاق عليها، ففي سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م أمر بإنشاء رباط في مشهد الإمام علي - عليه السلام - وأوقف عليه وقوفاً وإدرارات كثيرة[3]، وأمر بإنشاء جسر وحمله إلى تستر حيثُ نُصب فيها[4].

---

(١) جمال الدين، محمد سعيد، علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العبَّاسية في بغداد، مصر، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٢٩.

(٢) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، وقف على تصحيحه والتعليق عليه: الأستاذ مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ، ص ٣٧٢- ٣٧٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٣٠٤؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٣٠.

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٥٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥١، ص ٨١؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٢٣١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٢٩٥؛ القزاز، د. محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٣٠.

(٤) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٣٠.

ثالثاً: الإصلاحات العمرانية في النجف وكربلاء في عهد الإيلخان محمود غازان ومحمَّد خدابندة (٦٩٤-٧١٦هـ/١٢٩٥-١٣١٦م):

شهدت مدينة كربلاء ومعظم مدن الأعمال الواسطية إصلاحات عمرانيَّة واسعة في عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٤م)، ومحمَّد خدابندة أوليجاتو (٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م).

كان رخاء العراق يعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة التي كان ازدهارها يقوم على تطوُّر نظام الري؛ لقلَّة الأمطار التي تسقط في هذه المنطقة، ولم يكن للإيلخانيين وحكَّامهم في العراق سياسة واضحة في هذا الشأن، فلم يرد ما يشير إلى أنَّ حكومات هذا العهد كانت تهتمُّ بإزالة ترسُّبات الأنهار والقنوات[١].

ذُكر أنَّ السلطان محمود غازان أصدر أوامره في سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م بتشييد العمارات في كلِّ مدينة وولاية، وبشقِّ الأنهار والقنوات وأن يجريها بالمياه، فأسهم هذا بازدهار الزراعة، وأعاد ارتباط الفلَّاحين بأراضيهم بعد أن كانوا قد هجروها سابقًا[٢].

ومن جملتها وأعظمها نهرٌ يتمثَّل فيه الخير التامُّ والنفع العامُّ، وهو نهرٌ كبيرٌ جدًا، أجراه السلطان غازان في ولاية الحلَّة وأطلق عليه اسم "النهر

---

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٢ - ص٩٣.

(٢) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المغول العظام، ص ٢٩١؛ رازي، عبد الله، تاريخ مفصل إيران از – تأسيس ماد تاعصر حاضر، از انتشارات: شركت نسبي حاج محمد حسين إقبال وشركاه، تهران، جاب سوم، ١٣٣٥هـ، ص ٣١٧؛ السيد، محمود، التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ١٥٦.

الغازاني الأعلى"، و أوصل ذلك النهر إلى الضريح المقدَّس للإمام الحسين - عليه السلام -، وأجرى عذب الفرات إلى كلِّ صحاري كربلاء وسهولها[1].

وربَّما كان هذا النهر هو نفسه النهر العبَّاسي المُسمَّى بـ (العلقمي)، غير أنَّ السلطان محمود غازان فتحه من جديد وأمر بتنظيفه من الترسُّبات[2].

(١) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨ هـ/ ١٣١٨م)، تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٣٩؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٧؛ الغياثي، عبد الله بن فتح البغدادي (كان حيًّا في العقد الأول من القرن ١٠ هـ/ ١٦م)، تاريخ الدول الإسلامية في الشرق (آسيا الوسطى، إيران، العراق، بلاد الأناضول، بلاد الشام)، دراسة وتحقيق: أ. د. طار الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص ٥٥؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣؛ أفندي، نظمي زادة مرتضي، كلشن خلفا، ص ١٥٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٤٣٠- ٤٣١؛ بياني، شيرين، المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية: سيف علي، راجعه وقدَّم له: د. نصير الكعبي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣٢٩ وص ٣٥٨؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ١٨٣؛ الرفيعي، عبد الأمير، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، د. م، ط٢، ٢٠٠٩، ج١، ص ١٥٧؛ الموسوي، السيد تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ١٥٧.

(٢) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، هامش ص ١٨٣.

ونتيجة لهذا؛ أصبحت معظم المناطق الواقعة حول المشهد المقدَّس مزروعةً، فكثُرت الحدائق والبساتين، وأصبح بإمكان السفن القادمة من بغداد والمدن الأخرى الواقعة على ضفاف الفرات ودجلة الإبحار إلى المشهد المقدَّس، وبلغ محصولها نحو مئة ألف تغار[1]؛ إذ كانت تنمو هناك الحبوب وأنواع الخضر أفضل من أيِّ مكان من أعمال بغداد[2].

كما عُمِّرت الأراضي الواقعة على ضفَّة النهر الغازاني، وارتفعت أسعارها وأسعار البيوت التي أُنشِأَت بالقرب منها أضعافاً مضاعفة[3].

أوصل السلطان محمود غازان الماء في فرع النهر المذكور إلى مشهد سيدي أبي الوفاء نهر سُمِّي بـ(النهر الغازاني الأسفل)، وأوقف الكثير من الأراضي الجديدة على خدمة المشهد المذكور[4].

وعن هذا النهر ذُكر أنَّه حُفرت ترعة ثانية لإيصال المياه إلى مشهد الإمام عليٍّ - عليه السلام - في النجف، وحُفرت ترعة ثالثة لإيصال المياه إلى الشيخ أبي الوفاء في قرية أمّ عبيدة قرب واسط[5].

أسهم هذا النهر في اخضرار الأرض، واتَّسعت المزارع والحدائق، وأدَّى إلى سمنة دوابِّ تلك المنطقة بعد أن كانت نحيلةً هزيلةً[1].

---

(١) تغار، أو طغار: هو وحدة من وحدات الوزن يُستعمل لوزن الغلال، ويساوي مئة تبريزي = ٢٩٥ كيلوغرامًا. وتأتي هذه الكلمة بمعنى الضرائب العينيَّة التي تُجبى من الرعايا وتُنفق على العلف الخاصِّ بالجيش. ينظر: الهمذاني، تاريخ غازان خان، هامش ص ٢٣٩.

(٢) الهمذاني، تاريخ غازان خان، هامش ص ٢٣٩؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٧؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٢-٩٣.

(٣) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣.

(٤) الغياثي، تاريخ الدول الإسلامية، ص ٥٥ وهامشها؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ١٨٣؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٣٢٩.

(٥) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ١٨٣، ٢٧٢.

ذُكر أنَّ السلطان محمود غازان قد كلَّف شمس الدين صواب الخادم السكورجي وغرس الدولة للقيام بهذه المهمَّة[٢].

وفي مجال الإصلاح سعى السلطان محمود غازان لتوفير الأمن والاستقرار للفلَّاحين؛ لكي لا يهجروا مزارعهم وقراهم نتيجةً لسوء تصرُّف موظَّفي الدولة من جباة ورسل وغيرهم، وعمل في الوقت نفسه على تشجيعهم على زيادة الإنتاج الزراعي، وذلك لغرض تسهيل عمليَّة الجباية منهم وتقسيطها عليهم من ناحية، وإقامة مشاريع الري لهم من ناحيةٍ أخرى. وكان نصيب العراق من هذه المشاريع أكثرها، فضلاً عن أنَّ سبب إجرائه لهذه الإصلاحات إلى جانب أهمِّيَّتها الزراعية ليتقرَّب أكثر من رجال الدين، ولا سيَّما من السادة وآل البيت[٣].

زار السلطان غازان ضريح الإمام الحسين - عليه السلام – لعدَّة مرَّات، والمشاهد المقدَّسة الأخرى[٤].

وزار في سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م العراق، وقصد مشهد الإمام عليٍّ - عليه السلام -، وزار الضريح الشريف، وأمرَ للعلويين المقيمين هناك بالكثير من الأموال. ثمَّ زار مشهد الإمام الحسين - عليه السلام -، وأكرم العلويين

---

(١) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٢٩- ٣٣٠.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٧؛ العزاوي، عبَّاس، تاريخ العراق، ج١، ص ٤٣١.

(٣) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ١٨٣.

(٤) الشيرازي، أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (تُوفِّي في النصف الأوَّل من القرن ٨هـ/ ١٤م)، تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي، انتشارات بيناد فرسك إيران، ١٣٤٦هـ، م٤، ص ٢٤٢؛ ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩هـ، م٥، ص ٤١٥؛ السيد، محمود، التتار والمغول، ص١٥٦.

هناك، ثمَّ توجَّه لزيارة الصحابي سلمان الفارسي - رضي الله عنه -، ووزَّعَ الأموال على الفقراء المقيمين هناك[1].

زار السلطان غازان سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م العراق والمشاهد الشريفة فيه، وأمر للعلويين المقيمين فيها بالأموال[2]. وتوجَّه سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م إلى الحلَّة ومنها إلى كربلاء؛ حيث زار مشهد الإمام الحسين - عليه السلام -، وقدَّم هدايا ثمينة، وتصدَّق على المجاورين والخدم المقيمين في المشهد، وأغدق كرمه على العلماء والمشايخ[3].

ولم تكن زيارة السلطان غازان للمدن المقدَّسة في العراق لأغراضٍ التبرُّك فقط، بل كانت للاطِّلاع على أحوالها والعمل على إعمارها؛ إذ اهتمَّ السلطان غازان بإعمار مدينة النجف، وضريح الإمام الحسين - عليه السلام - في كربلاء[4].

من الإصلاحات الاقتصادية التي قام بها السلطان محمود غازان في العراق هو تنظيم الضرائب؛ إذ أكَّدَ أنَّ جميع أعمال العراق مثل البصرة وواسط والحلَّة والكوفة والنيل والأعمال الفراتية ونهر الملك ونهر عيسى والدجيل وبعقوبة وطريق خراسان وغيرها كان خراجها على ثلاثة أنواع؛ إذ فُرض على بعضها خراج مقنَّن، وأُعطيت الأخرى بشكل ضمان، بينما جُعلت

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٧؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٢٣٢؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٤٣١ -٤٣٢.

(٢) الهمذاني، تاريخ غازان خان، ص ١٥٦؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٧؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٤٣٢؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٤٣١.

(٣) الهمذاني، تاريخ غازان خان، ص ١٧٩؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ، المغول الكبير رشيد الدين فضل الله، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٣٣؛ الأمين، حسن، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٠٥.

(٤) السيد، د. محمود، التتار والمغول، ص ١٥٦.

الأجزاء الأخرى الباقية بشكل أمانة باسم أحد أرباب الدولة أو ملوك الأطراف أو أحد مشاهير العصر، والصنف الأخير لم يكن إلَّا نوعاً من أنواع الإقطاع[1].

تمثَّلَ اهتمام السلطان محمود غازان بآل البيت ورعايته لهم عن طريق إفراد سجلَّات خاصَّة بهم، وإنشاء دور السيادة في المدن الكبرى، وتجهيزها بما يحتاج إليها المقيمون فيها، وزياراته المتكرِّرة لمراقد الأئمَّة - عليهم السلام - في النجف وكربلاء وتبرُّعه بالأموال للقائمين فيها[2].

ومع ذلك كان السلطان غازان حريصاً جداً على الاهتمام بجميع الطوائف الدينية دون تفضيل طرفٍ على حساب الأخير[3].

واثناء زيارته الضريح المقدَّس في كربلاء سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، علَّق عليه الستائر الفاخرة التي أمر بإعدادها للمقام هناك[4].

كما منح المجاورين والحاضرين هناك صدقات لا حصرَ لها ومن حاصلات النهر الغازاني، وبلغ مقدار ما منحه لهم عيناً ثلاثة آلاف من الخبز تُقدَّم يوميّاً للسادات والمقيمين هناك[5]؛ إذ خصَّص لسادة كربلاء - ولا سيَّما ممَّن كانوا في وضعٍ معاشي متدنٍّ - حصَّةً من الحبوب وضروريَّات الحياة، فحسنت بذلك معيشتهم[6]. واستحدث داراً في مشهد الإمام عليٍّ - عليه

---

(١) الشيرازي، تاريخ وصاف، م٤، ص ٢٤٣؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ١٠٥.

(٢) شبولر، بيرتولد، العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية: الأستاذ أسعد عيسى، راجعه وقدَّم له: د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٣؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٩٦.

(٣) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٩٨.

(٤) الهمذاني، تاريخ غازان خان، ص ١٨٠؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٣٥٨.

(٥) الهمذاني، تاريخ غازان خان، ص ١٨٠؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٣٥٨.

(٦) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٥٨.

السلام - في مدينة النجف سُمِّيت دار السيادة، وأنشأ خانقاه للمتصوفة أيضاً فيها[١].

نجح الإيلخان محمود غازان في الغور في المسائل والأحكام الإسلامية، وسعى جاهداً لكسب رجال الدين، فلم يكف يوماً عن إنفاق النذور والصدقات وإطعام المساكين، والأخذ بيدهم ومساعدتهم، وزيارة المشاهد المقدَّسة، وتكريم وإجلال أئمَّة الدين وعلمائه[٢].

لهذا خصَّص أموالاً ضخمةً لتشييد مبانٍ تهمُّ عامَّة الناس وتسعى من أجل ضمان مصالحهم، وأمر برعاية رجال الدين من معظم المذاهب الدينية دون تمييز بينهم، وكان يتشوَّق إلى زيارة المشاهد المقدَّسة، وأنفق أموالاً كثيرةً عليها نذراً وصدقةً[٣]. ومنذ اعتناقه الإسلام ازداد حبُّه لأهل بيت النبوَّة - رضي الله عنهم -، وقدَّم مساعدات كثيرة للحجَّاج، وبدأ بزيارة قبور أسرة الرسول - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -، وينذر النذور ويرسلها إلى مستحقِّيها، ويعز السادات وبأمر لهم بالصدقات والإدرارات[٤].

وأوقف الأوقاف للفقهاء والمتصوّفة وللسادات، فكان يقول: "كيف يكون للفقهاء والمتصوفة والطوائف الأخرى أوقاف خاصَّة بهم، ولا يكون ذلك أيضاً للسادات؟! إنَّه لواجب أن يكون ذلك للعلويين كذلك..."[٥]. وعيَّنَ لهم مرتَّبات ينفقونها في أداء مصالحهم وبحسب ما نصَّت عليه الأوقاف[٦].

---

(١) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٤.

(٢) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٣٧.

(٣) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٢٩.

(٤) بياني، شيرين، المغول، ص ٢٢٧؛ السيد، محمود، التتار والمغول، ص ١٥٦.

(٥) بياني، شيرين، المغول، ص ٢٢٧.

(٦) بياني، شيرين، المغول، ص ٢٢٧.

أشار عبَّاس العزاوي إلى وجود زاوية بجوار مشهد الإمام الحسين - عليه السلام -، وتولَّى مشيختها شمس الدين محمَّد بن عيسى بن كر المرواني البغدادي المصري الحنبلي (ت ٧٦٣ هـ/ ١٣٦٢م)[١].

وأمر الإيلخان غازان بنقش أسماء الأئمَّة الاثني عشر - عليهم السلام - على النقود التي سُكَّت في عهده، مِمَّا يوضِّح اهتمامه بآل البيت - عليهم السلام -[٢].

سار الإيلخان اوليجايتو محمَّد خدابنده على نهج السلطان محمود غازان، واتَّضح هذا في اهتمامه بالعمران وبناء المدن، ورعايته للمشاهد الدينية وبالعلويين؛ إذ زار مدينة النجف الأشرف ومرقد الإمام عليٍّ - عليه السلام -[٣].

---

(١) تاريخ العراق، ج٢، ص ١٢٢- ١٢٣.

(٢) بياني، شيرين، المغول، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) إقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتَّى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: د. عبد الوهَّاب علّوب، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣١٥؛ الأمين، حسن، المغول، ص ٣٥٧؛ الموسوي، السيد تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين - ع -، ص ١٥٧.

رابعاً: أهمُّ مراكز سكِّ النقود في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م):

كانت مراكز سكِّ النقود في العراق في عهد المغول الإيلخانيين في بغداد ومناطق الأعمال الحلية والواسطية والبصرة، وهذا يعني أنَّ كربلاء كانت واحدةً من أهمِّ هذه المراكز. وكان الدينار في العهد الإيلخاني متوسِّط الحجم، أو صغير، أصغر بصورة عامَّة من الدينار في العصر العبَّاسي المتأخِّر، وكانت النقود في عهد هولاكو أكبر حجماً بصورة عامَّة، وأكثر انتظاماً في دوائرها، وأبسط في الكتابات المنقوشة عليها من نقود السلاطين الذين أعقبوه، وأقرب من غيرها شبهًا بالنقود العبَّاسية[1].

كانت النقود الإيلخانية تتميَّز بصورة عامَّة بكثرة النقوش، التي من بينها صور حيوانات مثل الأرنب والقرد، أو صور وجه الإنسان. أمَّا النصوص المنقوشة عليها؛ فنجد المضروب منها في البلاد الإسلامية تتمثَّل بعبارة (لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله)، ونجد أسماء الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم جميعا - منقوشةً على الكثير منها، باستثناء معظم نقود السلطان أوليجايتو محمَّد خدابنده؛ حيث نجد عليها أسماء الأئمَّة الاثني عشر[2].

في عهد غازان خان نُقش على النقود التي ضُربت في عهده آيات من القرآن الكريم وأسماء الأئمَّة الاثني عشر، وهذا يدلُّ على اهتمامه بآل البيت

---

(١) خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ١٢٥.

(٢) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م٥، ص ٣٨٦ وص ٤٢٦؛ إقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ٢٦٨ وص ٢٩٦؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ١٢٥؛ رازي، عبد الله، تاريخ مفصل إيران، ص ٣١٧؛ الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ إيران، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣، ج٢، ص ٣٠٤ وص ٣٠٦؛ الأمين، حسن، المغول، ص ٢٨٨؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المغول العظام، ص ٢٦٧، ٢٧٠؛ السيد، محمود، التتار والمغول، ص ١٥٤.

وبالعلويين عموماً، ومعظم هذه النقود لم تُضرب للتداول، بل كانت تُهدى لكبار الشخصيَّات في الاحتفالات والأعياد[1].

خامساً: الكوارث الطبيعية في النجف وكربلاء ومدن الأعمال الواسطية:

من أهمِّ الكوارث الطبيعية التي تعرَّضت معظم مدن الأعمال الواسطيَّة والحلِّيَّة والكوفيَّة، فضلاً عن الموصل وبغداد والبصرة وجميع نواحي العراق هو تلوُّث الهواء في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، فكثر السعال بين الناس[2].

ارتفعت أسعار المواشي والعدس والحمص والسلق، واستمرَّ هذا الحال عدَّة أشهر[3]. تعرَّضت الأعمال الحلِّيَّة والكوفية والمناطق المحيطة بها للغرق نتيجة زيادة نهر الفرات، وكان ذلك سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م[4].

---

(١) إقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ٢٩٧؛ بياني، شيرين، المغول، ص ٢٣٩؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المغول العظام، ص ٢٩١.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٤٩؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٩٣، ٩٤؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٣٣١.

(٣) العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٣٣١.

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٠٧؛ خصباك، جعفر حسين، العراق، ص ٢١٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص ٣٨٠.

الخاتمة

تمخَّض عن دراستنا هذه عددٌ من النتائج المهمَّة، منها ما يأتي:

١- يُعدُّ توثيق تاريخ أيَّة مدينة عن طريق مؤلَّفات الجغرافيين والرحلات من الدراسات المهمَّة التي اهتمَّ بها الباحثون والمؤرِّخون؛ نظرًا لما تمتاز به رواياتهم من صدقٍ وواقعيةٍ؛ كونهم شهود عيان على الأحداث والوقائع التي عاصروها وشهدوا أحداثها وتفاصيلها.

٢- وثَّق كلٌّ من ابن جبير وابن بطوطة معظم المحلَّات في بغداد وشوارعها وطرقها في جانبيها الشرقي والغربي، وأشاروا إلى أهمِّ حمَّامات بغداد وأسواقها ومساجدها وجوامعها وقصور الخلفاء، فضلًا عن المارستانات وأهمِّ المراقد والأضرحة المقدَّسة في بغداد، وأكدوا من خلال ذلك أهمِّيَّتها الدينية.

٣- تضمَّنت رحلتي ابن جبير وابن بطوطة معلوماتٍ مهمَّةً عن المدارس الموجودة في بغداد، وأهمها النظامية والمستنصرية، وأهم أركانها وطرائق التدريس فيها.

٤- ذكر ابن جبير دور البيمارستانات في نشر العلم؛ إذ لم تكن مجرَّد مشفًى لتلقِّي العلاج، وإنَّما كانت مؤسَّسةً علميةً اختصَّت بتدريس علوم الطبِّ بمختلف فروعه.

٥- حضر ابن جبير خلال رحلته إلى بغداد معظم المجالس العلمية التي عقدها عددٌ من العلماء والفقهاء، وأثنى عليها وشرحَ أهمَّ ما دار فيها، مؤكِّداً ازدهار الحياة العلميَّة في بغداد.

٦- أشار ابن بطوطة إلى لقائه بأحد مشايخ بغداد وعلمائها في جامع الخليفة، وتحدَّثَ معه مفصِّلًا عدَّة أمور. وأشار إلى المدرسة المستنصرية

وطريقة جلوس المعلِّم في مكانه المخصَّص له، ومكان جلوس طلبته خلال عقد حلقته العلمية، وأشار إلى ما حوته هذه المدرسة من حمَّامات ودار للوضوء، مؤكِّداً عن طريق ذلك توفير جميع المستلزمات التي يحتاجها الطالب والأستاذ فيها.

٧- أشار ابن بطوطة إلى قبور عددٍ من الخلفاء العبَّاسيين، وهذا الأمر يؤكِّد مدى الاهتمام والعناية بها.

٨- سُمِّيت الموصل بهذا الاسم؛ لأنَّها وصلت بين الجزيرة والشام، أو بين الفرات ودجلة، أو بين الجزيرة والعراق، أو بين سنجار والحديثة، وقيل نسبةً إلى اسم الملك الذي بناها، وإنَّ اسمها في عهد الفرس نور أردشير بالنون أو الباء.

٩- الموصل مدينة قديمة تقع على غربي دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى. وأوَّل من اختطَّها وسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي، وبنى فيها المسجد الجامع، وأوَّل من ألحقها بالأمصار وجعل لها ديوانًا وبنى لها جسرًا وخطَّ طرقاتها وبنى سورها الخليفة مروان بن محمَّد بن مروان بن الحكم.

١٠- اتَّفق معظم الجغرافيين على أنَّ مدينة الموصل مدينة ومعمورة، مزدهرة العمران، تميَّزت بأسواقها الواسعة وحمَّاماتها وأسوارها وخنادقها وبساتينها الخُضر وبجودة محاصيلها.

١١- سكن مدينة الموصل أقوام وقبائل متعدِّدة من العرب والكرد من المسلمين والنصارى، وهذا يشير إلى التعايش السلمي بين عامَّة الناس.

١٢- عرج معظم الجغرافيين على وصف مدينة سنجار ونينوى واصفينَ خيراتها الطبيعية والمسافات بينها وبين الموصل.

١٣- أشار معظم الجغرافيين إلى المشاهد المقدَّسة في مدينة الموصل واهتمام السلطة بها، وخير دليل على ذلك استمرار وجودها في مراحل تاريخية متعاقبة واستمرار زيارة السكَّان لها للتبرُّك بها.

١٤- وصف ابن جبير الموصل بالمدينة العتيقة الكبيرة، وهذه إشارةٌ منه للدلالة على تاريخها القديم، وأشار إلى اهتمام السلطة الحاكمة آنذاك ببناء أبراجٍ وأسوارٍ وقلعةٍ محكمةٍ فيها، مِمَّا يشير إلى تعرُّض المدينة لعدَّة أخطار على مرِّ التاريخ، وعرج ابن جبير على وصف مساكن عامَّة الناس وشوارعها وترتيبها بشكلٍ عمرانيٍّ، مِمَّا يدلُّ على وجود خبراء ومهندسي بناء مهرة.

١٥- إنَّ وصف ابن جبير الأماكن المقدَّسة المتعلِّقة بالنبيِّ يونس - عليه السلام - يوضِّح بشكلٍ جليّ اهتمام السكَّان والسلطة بها، وهذا واضحٌ عن طريق بناء الربط فيها التي أصبحت مكان تجمُّع الناس للعبادة، وليس هذا فحسبُ، بل إنَّ عدداً من القرى بُنيت حول الرباط، ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه المنطقة كانت مأهولةً بالسكَّان.

١٦- أشار ابن بطوطة إلى تاريخ المدينة القديم وكونها من المدن القديمة، واصفًا قلعتها الحدباء وأسوارها المحكمة مع انتشار دور السلطان حولها، ولم يكتفِ بذلك، بل وصف شوارعها وبيوت عامَّة الناس، ممَّا يدلُّ على وجود نهضةٍ عمرانيةٍ وحضاريةٍ ووعيٍ هندسيٍّ مرموقٍ.

١٧- إنَّ وصف ابن بطوطة جوامع مدينة الموصل يدلُّ على ما كانت تتمتَّع به من رخاء اقتصادي، واتَّضح هذا الأمر عن طريق طبيعة بنائهما من الرخام المثمن. وأشار إلى موضع تلّ النبي يونس - عليه السلام -، مكرِّرًا ما شاهده ابن جبير، ومؤكِّداً استمراره إلى وقت زيارته له، واصفًا المسجد والرباط الموجود فيه واهتمام الناس بزيارته؛ لأداء طقوسهم وعباداتهم، وللتبرُّك به.

١٨- أسهم الرحَّالة ابن بطوطة بإعطاء معلومات مهمَّة عن مدينتي النجف وكربلاء والعتبات المقدَّسة فيهما، مع الإشارة إلى أهمِّ نقباء الأشراف مِمَّن تولّوا إدارتها خلال رحلته إليهما.

١٩- وصف عددٌ من الجغرافيين والرحَّالة عددًا من المدن العراقية، مثل البصرة وواسط والكوفة وغيرها، وأشاروا إلى معلوماتٍ دقيقةٍ ومهمَّةٍ عن موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية ومُناخها.

٢٠- إنَّ التقسيمات الإدارية للعراق بعد احتلال المغول له بقيت على غرار ما كان موجوداً في العصر العبَّاسي المتأخِّر، مع إضافة تعديلات إداريَّة مهمَّة في المرحلة التاريخية لحكمهم، تمثَّلت بظهور وظائف إداريَّة جديدة كانت لها أسس سابقة مع تغيير في مسمّياتها ومسمّيات القائمين عليها.

٢١- اهتمَّ المغول الإيلخانيون بإدارة العراق؛ لإدراكهم أهمِّيَّته السياسية والعسكرية والاقتصادية، لهذا حرصوا على اختيار أفضلهم، فكان في مقدِّمتهم علاء الدين عطا ملك الجويني الذي أسهم بشكلٍ كبيرٍ في تنظيم مؤسَّساته، وتسخير وارداته للصالح العام، تمثَّل هذا عن طريق حفره للأنهار وزراعة الأراضي في مختلف مدن العراق، وفي مقدِّمتها مدينتا النجف وكربلاء.

٢٢- اتَّضحَ اهتمام الإيلخانات المغول بمدن العراق المقدَّسة النجف وكربلاء في عهد الإيلخان غازان واوليجايتو محمَّد خدا بنده عبرَ تعميرها وحفر الأنهار والقنوات فيهما، وضمان حقوق الفلَّاحين ومصالحهم.

الملاحق

ملحق (١)

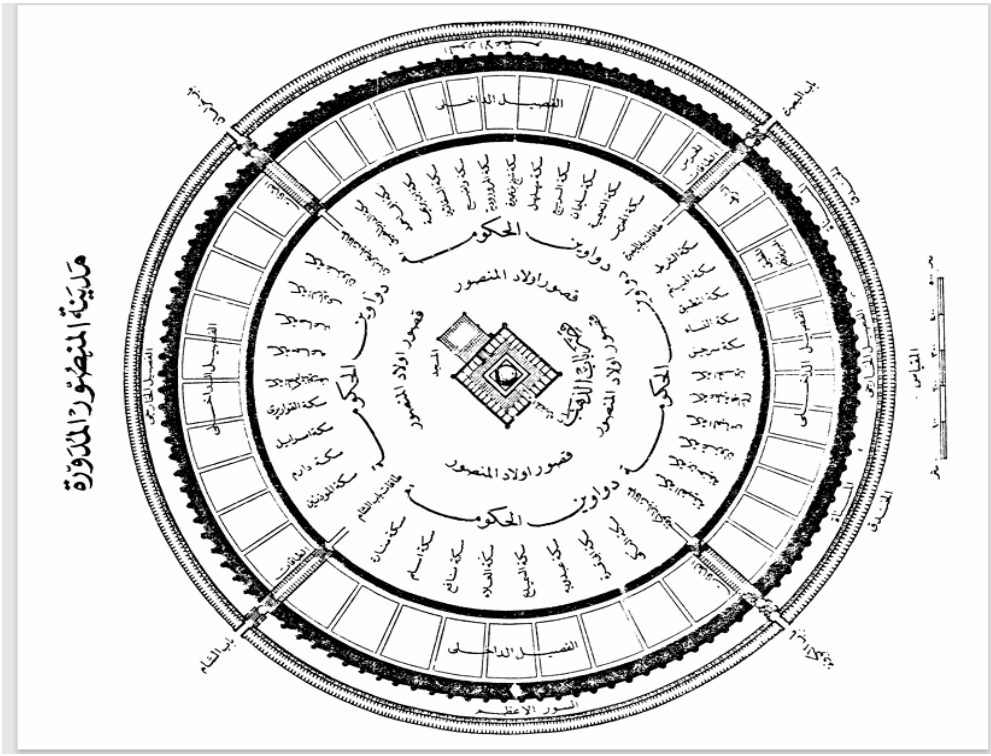

ينظر: العاني، حسن فاضل، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، دار الرشيد، العراق، ط١، ١٩٨١، ص٥٥٥

ملحق (٢)

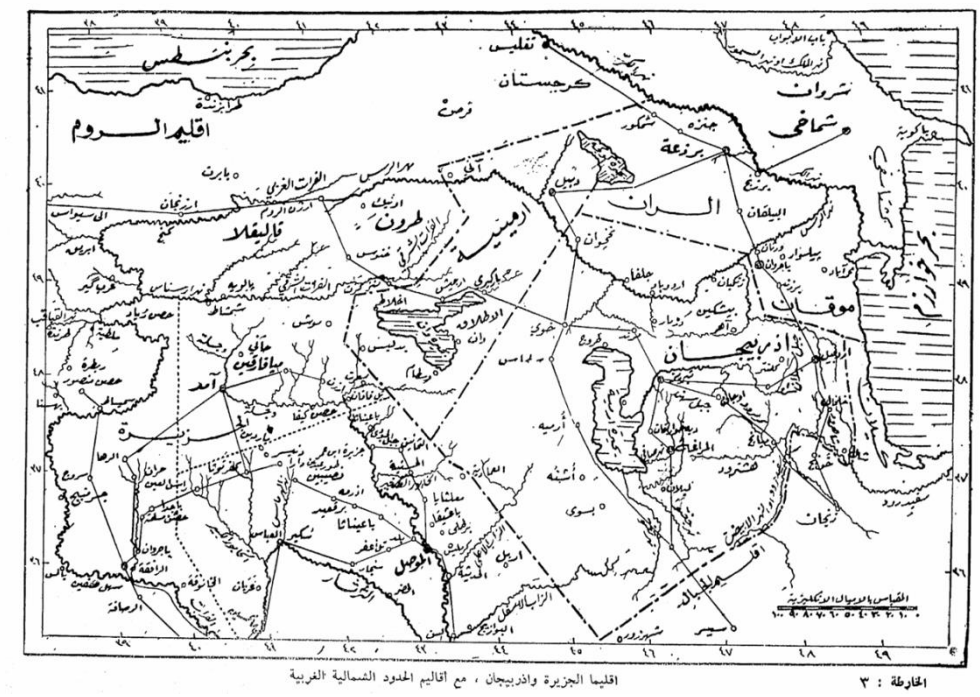

الخارطة : ٣ اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

ينظر: لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، بعد ص١١٤.

ملحق (٣)

احد مداخل سور مدينة سامراء القديمة

ينظر: الميالي، ارجوان فيصل، سور مدينة سامراء القديم دراسة تاريخية اثارية، مجلة تراث سامراء، العتبة العسكرية المقدسة، مركز تراث سامراء، العدد ٢، السنة الأولى، ٢٠٢٠، ص١٩٧

ملحق (٤)

محراب جامع الملوية

ينظر: السامرائي، يونس ابراهيم، تاريخ مدينة سامراء، مطبعة دار البصري، بغداد، ط١، ١٩٦٨م، ص٨١

ملحق(٥)

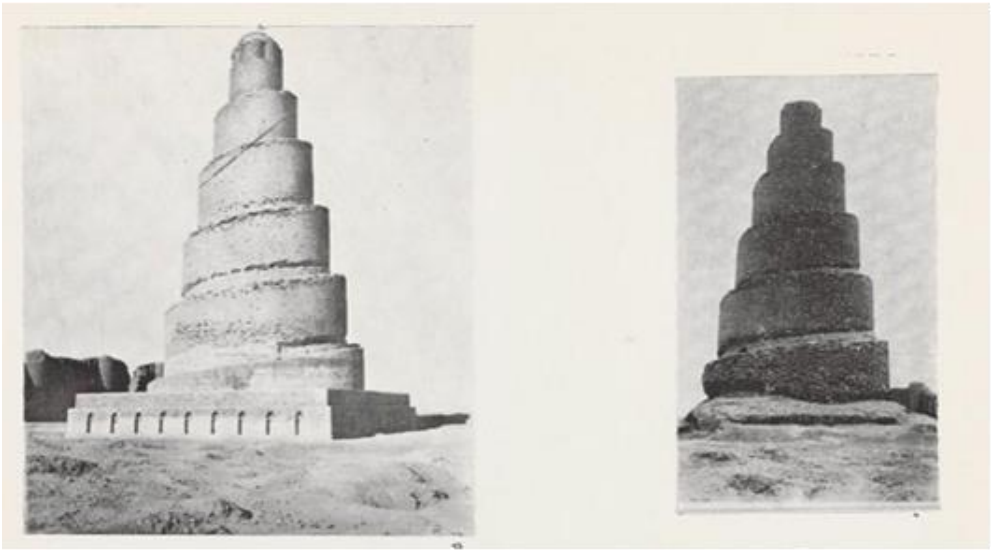

جامع الملوية قبل التعمير جامع الملوية بعد التعمير

ينظر: السامرائي، يونس ابراهيم، تاريخ مدينة سامراء،ص٤٩

قائمة المصادر والمراجع

* أوَّلاً: المصادر الأصيلة:

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي مكرم محمَّد بن محمَّد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

٣- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م.

٤- ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٦٩م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ٢٠١١. وطبعة تح: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.

٥- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦- البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

٧- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، وضع حواشيه وعلَّق عليه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، قدَّم له ووضع حواشيه وعلَّق عليه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٩- الحافظ آبرو، حافظ آبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ذيل جامع التواريخ رشيدي، بامقدمه وحواشي وتعليقات: دكتر خانبا باياني، شركت تضامني علمي، تهران، ١٣١٧.
١٠- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، طبعة تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، وطبعة دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
١١- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨م.
١٢- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
١٣ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣.
١٤- الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الواسطي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٥ - السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهَّاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي،

وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٦- الشيرازي، أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (تُوفِّي في النصف الأوَّل من القرن ٨هـ/ ١٤م)، تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي، انتشارات بيناد فرسك إيران، ١٣٤٦هـ.
١٧ - الغياثي، عبد الله بن فتح البغدادي (كان حياً في العقد الأوَّل من القرن ١٠هـ/ ١٦م)، تاريخ الدول الإسلامية في الشرق (آسيا الوسطى، إيران، العراق، بلاد الأناضول، بلاد الشام)، دراسة وتحقيق: أ. د. طارق الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
١٨- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك الأفضل نور الدين (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
١٩- ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)، مختصر كتاب البلدان، بريل، ليدن، ١٣٠٢م.
٢٠- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢١- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
٢٢- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، وقف على تصحيحه والتعليق عليه: الأستاذ مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ.
٢٣- مسكويه، أبو علي بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.
٢٤- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٠٦.

٢٥- ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩هـ.
٢٦- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، مصر، د.ت.
٢٧- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. والجزء الخاص بتاريخ غازان خان، دراسة وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٢٨- اليزدي، شرف الدين علي (ت٨٥٠هـ/١٤٤٧م)، ظفرنامة، محقق: سعيد مير محمد صادق، مصحح: عبد الحسين نوائي، مركز إسناد مجلس، ومركز تحقيقات رايانه أي قائمية، أصفهان، د. ت.
٢٩- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* ثانياً: المراجع الحديثة:

٣٠- إقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: د. عبد الوهاب علّوب، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٣١-..... تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ -٨٢٠م/١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م)، نقله من الفارسية: د. محمد علاء الدين منصور راجعه: أ. د السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٢ - أفندي، نظمي زادة مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١.
٣٣- أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ٢٠٠٦م.
٣٤- الأمين، حسن، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣٥ - بياني، شيرين، المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية: سيف علي، راجعه وقدَّم له: د. نصير الكعبي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣.
٣٦-ثويني، علي، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، العراق، بيت الحكمة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٧- الجاف، حسن، موسوعة تاريخ إيران السياسي من قيام الدولة الصفارية إلى قيام الدولة الصفوية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
٣٨ -.....، الوجيز في تاريخ إيران، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.
٣٩- جمال الدين، محمد سعيد، علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العبَّاسية في بغداد، مصر، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٠ - حلمي، أحمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٤١ - خصباك، جعفر، العراق في عهد المغول الإيلخانيين ٦٥٦- ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٥م، الفتح، الإدارة، الأحوال الاقتصادية والأحوال الاجتماعية، مطبعة العاني، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بغداد، ط١، ١٩٦٨.
٤٢ - رازي، عبد الله، تاريخ مفصل إيران از – تأسيس ماد تاعصر حاضر، از انتشارات: شركت نسبي حاج محمد حسين إقبال وشركاه، تهران، جاب سوم، ١٣٣٥هـ.

٤٣- الرفيعي، عبد الأمير، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، د. م، ط٢، ٢٠٠٩.
٤٤- السامرائي، يونس ابراهيم، تاريخ مدينة سامراء، مطبعة دار البصري، بغداد، ط١، ١٩٦٨م.
٤٥- السيد، محمود، التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
٤٦- شبولر، بيرتولد، العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية الأستاذ أسعد عيسى، راجعه وقدَّم له: د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٧- الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ، المغول الكبير رشيد الدين فضل الله، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
٤٨- طقوش محمد سهيل، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين (٦٠٢-٧٧٢هـ/ ١٢٠٦-١٣٧٠م)، (٦٥١- ٧٥٦هـ/ ١٢٥٣- ١٣٥٥م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٤٩- طلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.
٥٠- العاني، حسن فاضل، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، دار الرشيد، العراق، ط١، ١٩٨١.
٥١- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين حكومة المغول ٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٨م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٥٢- فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
٥٣- القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٥٤- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
٥٥- محمد، إيناس حسني، المغول وغزو الدولة الإسلامية، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٤م.
٥٦- الموسوي، السيد تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
ثالثاً: البحوث المنشورة في المجلَّات والدوريَّات العربيَّة:
٥٧ - رؤوف، عماد عبد السلام، حكَّام العراق وموظَّفوه في عهد المغول، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع١١، ١٩٧٩.
٥٨- الميالي، ارجوان فيصل، سور مدينة سامراء القديم دراسة تاريخية اثارية،مجلة تراث سامراء، العتبة العسكرية المقدسة، مركز تراث سامراء، العدد ٢، السنة الأولى،٢٠٢٠.

المحتويات

الأهداء ٧
المقدّمة ٩

الفصل الأوّل: مدينة بغداد في مؤلّفات الجغرافيّين والرحّالة (القرن ٣-٨هـ/٩-١٤م).. ١٥
أوّلاً: مدينة بغداد في مؤلّفات الجغرافيين:..... ١٧
ثانياً: مدينة بغداد في مؤلّفات الرحّالة: ٢٥
أ- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) إلى مدينة بغداد: ٢٥
ب- رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م) إلى مدينة بغداد:..... ٣٨

الفصل الثاني: مدينة الموصل في مؤلّفات الجغرافيين (القرن ٤-٧هـ/١٠-١٣م) ٤٥
أوّلاً: الأصول التاريخية لاسم مدينة الموصل وموقعها الجغرافي:..... ٤٧
ثانياً: وصف مدينة الموصل في كتب الجغرافيين:..... ٤٩
أ: وصف ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) مدينة الموصل:..... ٤٩
ب: وصف ابن الفقيه الهمذاني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل: ٥٠
ت: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) مدينة الموصل:..... ٥١
ث: وصف ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) مدينة الموصل: ٥٢
ج: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) مدينة الموصل:..... ٥٨
ح: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) مدينة الموصل: ٦٠
خ: وصف الإدريسي (ت٦٥٠هـ/١١٦٤م) مدينة الموصل:..... ٦٢
د: وصف القزويني (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) مدينة الموصل: ٦٣

الفصل الثالث: مدينة الموصل في كتب الرحّالة (القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م)..... ٦٩
أوّلاً: رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) إلى مدينة الموصل: ٧١
ثانياً: رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) إلى مدينة الموصل:..... ٧٧
الفصل الرابع: مدن العراق في مؤلّفات الجغرافيين (القرن ٣-٤هـ/٩-١٠م)..... ٨٥
أوّلاً: وصف اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مدينة البصرة:..... ٨٧

ثانياً: وصف الإصطخري (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) عدداً من مدن العراق: ٨٧
ثالثا: وصف المقدسي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) عدداً من مدن العراق: ٩١
رابعاً: وصف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عدداً من مدن العراق: ٩٤

الفصل الخامس: رحلتي ابن جبير وابن بطوطة إلى مدن العراق (القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م) ٩٧
أوّلاً: رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) إلى مدن العراق: ٩٩
ثانياً: رحلة ابن بطوطة (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) إلى مدن العراق: ١٠٥

الفصل السادس: المدن المقدَّسة في العراق (النجف وكربلاء) في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م) ١١٣
أوّلاً: نبذة تاريخية عن إدارة العراق في العهد الإيلخاني (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م): ١١٥.
ثانياً: علاء الدين الجويني (ت ٦٨٣ هـ/ ١٢٦٤م) ودوره الإداري والعمراني في العراق: ١١٩.
ثالثاً: الإصلاحات العمرانية في النجف وكربلاء في عهد الإيلخان محمود غازان ومحمَّد خدابندة (٦٩٤-٧١٦هـ/١٢٩٥-١٣١٦م): ١٢٢
رابعاً: أهمُّ مراكز سكِّ النقود في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥١-٧٥٦هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥م): ١٣٠
خامساً: الكوارث الطبيعية في النجف وكربلاء ومدن الأعمال الواسطية: ١٣١
الخاتمة ١٣٢
الملاحق ١٣٧
ملحق (١) ١٣٨
ملحق (٢) ١٣٩
ملحق (٣) ١٤٠
ملحق (٤) ١٤١
ملحق(٥) ١٤٢
قائمة المصادر والمراجع ١٤٣
المحتويات ١٥١

تنوعت المكتبة العربية وغير العربية بعدة دراسات عن مدن العراق ووصفها وبيان أهمية موقعها الجغرافي وتنوع ثرواتها ومواردها الاقتصادية وهذا يشير إلى عراقة العراق ودوره البارز والمهم عبر التاريخ.

دراستنا هذه هي إضافة مهمة لما درس سابقاً ومكمل لها، ولا سيما أن معظم مصادر دراستنا جغرافية، فضلاً عن التاريخية، فكلاهما مكمل للآخر، وكلاهما أشار إلى أهمية مدن العراق وغناها بالثروات الطبيعية المتنوعة فضلاً عن أبرز مظاهرها العمرانية.

9 789922 817316

دار توليب للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي
هاتف: 07718742736

تصميم الغلاف

dartulip2025shop@gmail.com